في قريتنا شيطان

رواية بقلم

محمد نور الدين



فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب
والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية

نور الدين ، محمد
في قريتنا شيطان / رواية بقلم محمد نور الدين
. - ط ١ .- الشرقية ، فاقوس : مؤسسة الانتشار العالمي للطباعة
والنشر والإعلان والتوزيع ، ٢٠٠٦
٨٨ ص ، ٢١ سم .
١- القصص العربية أ- العنوان
٨١٣



مؤسسة الانتشار العالمي
للطباعة والنشر والتوزيع
ت : ٠١٠ / ٢٧٢١٢١٣

E.mail: Alentshar48@hotmail.com

الكتاب : في قريتنا شيطان

الكاتب : محمد نور الدين (مصر)

الناشر : مؤسسة الانتشار العالمي

الطبعة العربية الأولى : القاهرة

رقم الإيداع : ٨٢٢٥ / ٢٠٠٦

لوحة الغلاف : الفنان / محمد لطفي

تصميم وجرافيك :

أحمد أبو الفتوح

الجمع والصف الالكتروني :

وحدة الكمبيوتر بالمؤسسة

الفصل الأول

ضربت القرية دهشة حادة .. كانت بلون البرق المتشظي في سماء سوداء ، وعصف الرعد الثائر ، ومذاق الفلفل والعلقم.

الأقلية من أهل القرية انتزعت الخبر من آذانهم، وضعته بالضبط تحت نعالهم المتهرئة، وراحوا يضغطون عليه كعقرب سام.

الأغلبية كانت مدهوشة ساخطة، ومشطورة بين مكذب ومصدق، كان حوارهم يغلي وينفجر في وجوههم : ((اهي علامة من علامات القيامة؟!)).

اجابه أحد الظانين بالفتاة ظن السوء: ((استغفر الله العظيم .. لا يمكن أن يوافق أبوها الحاج عبد المحسن على زواجها من الشيخ قرد إلا إذا كانت !! ... استغفر الله العظيم ..)). نهره الآخر بغضب: ((حرام عليك .. اتق الله .. لا تتكلم بحق بنات الناس هكذا !! ..)).

تطوع آخر بالدفاع عن وجهة نظر صاحب الظن السيئ بما يشبه المنطق المعقول: ((إذن.. فسر لنا انت كيف يمكن أن يتم الزواج بين الشيخ عفريت بعينه الواحدة ، وشكله القميء ، وشهادته الدراسية التي لم تتجاوز الثانوية الأزهرية .. وبين الأستاذة بدرية بنت الحاج عبد المحسن تفاحة القرية الناضجة، والحاصله على شهادة عالية من جامعة المحافظة ؟!)).

قال البعض ممن يزعمون بفهمهم لروح عصرهم المادي: ((ربما كان المال الذي حصل عليه الشيخ سليمان ابن بهية بعمله في الخارج هو الدافع الحقيقي لقبول بدرية وأبيها بهذا الزواج!)).

لكن العارفين بتفكير الأغنياء في هذا العصر نفوا هذا الراي متهكمين: ((الحاج عبد المحسن أبو بدرية من أغني أغنياء القرية ولا ينقصه مال الشيخ عفريت هذا!)).

أيده آخر هازا لرأسه هزات عمودية: ((صدقت .. صدقت .. إن ما ينقصه هو المظهر والمكانة الاجتماعية المحترمة التي تعطي

لهذا المال الذي يملكه نكهة الوقار، وطعم الاحترام والتقدير..حتى لا يحسب من زمرة الأغنياء اللقطاء..)).

شاركهما ثالث بتوضيح منطقية رأيهما: ((هذا حقيقي ..كان الأولى به أن يزوج ابنته من الدكتور عاطف ابن العمدة..وخاصة أن جميع أهل القرية يعرفون قوة الحب الذي يربط بينهما منذ الطفولة..)).

وأضاف رابع معززا رأيهم: ((كما أن أهليهما يعرفان بهذا الحب عز المعرفة.. وكانا يباركانه ولا يعترضان عليه ..)).

استأنف الأول مستنكرا: ((والشيخ قرد لا يملك أية مكانة اجتماعية ..)).

وإصل الثالث عرض وجهة نظره على بساط من المنطق الهادئ قائلا: ((إن أي بيت في القرية لن يفتح له باب الزواج أو المصاهرة..ولو كان أقل البيوت مالا وشرفا..فكيف بالحاج عبد المحسن والدها يقبل ذلك؟!! .. إلا إذا كان هناك سبب خفي وقهري يتعرض له الحاج والدها!! ..)).

قاطعه آخر مؤكدا بحسم: ((أنا متأكد يا جماعة لو أن أخاها الأستاذ جلال، الذي سافر إلى أوربا في عطلة الصيف الماضي ولم يرجع حتى الآن- بالرغم من أن الدراسة في كلية الألسن التي يتعلم فيها قد بدأت منذ ثلاثة أشهر- كان موجودا لرفض هذا الزواج مهما كانت الأسباب)).

من جديد طفا ذو الظن السيئ بإصرار فوق الحوار مؤكداً تخمينه: ((ألم أقل لكم إن هذا الزواج غير الطبيعي وراءه ما وراءه !! .. استغفر الله العظيم .. ربما .. ربما أخطأت بدرية ربما قد ضحك عليها الشيطان وحملت من الدكتور عاطف و..)).

قاطعه الجميع لاعنين له أفكاره النجسة، ومرددين بألسنتهم بصوت عال: ((استغفر الله العظيم ! .. استغفر الله العظيم ! ..)).

في الحقيقة كان الشك قد تسلل إلى قلوبهم جميعاً .. لم يكن أمامهم غير هذا التفسير القاسي؛ ليقبلوا صحة الخبر الذي اشتعل في القرية، واستنكرته جدران القرية قبل أهلها، واهتزت له كل الأوراق الخضراء في حقولها، والتي جفت وتساقطت احتجاجا لمجرد سماع الخبر .. فالجميع يعرف من هو

سليمان ابن بهية العرجاء، التي عاشت طوال عمرها — وقبل أن تموت بأيام - موزعة لساعات يومها بين الخدمة في بيوت القرية، وبين السرقة من حقولها .. ولم يكن سليمان الأعور - ابنها الوحيد- بمختلف عنها، ولا سلوكه المشين بأنظف من سلوك أمه .. بالرغم من انه يحفظ الكثير من سور القرآن الكريم منذ أن كان في كتاب القرية. وحتى واصل تعليمه في المعاهد الأزهرية إلي أن توقف عند المرحلة الثانوية .. إلا أن أحدا من القرية لا يتذكر أبدا أن الشيخ سليمان ابن بهية قد عمل ولو بآية واحدة من آياته .. ولذلك كان يحلو للبعض أن يدعوه بالشيخ قرد، والبعض الآخر بالشيخ عفريت .. ولم يكن يغضب هو من ذلك .. كان يضحك عليهم، ويردد قولته المعتادة، والتي استحالت إلي مبدأ يخصه وحده: ((امسك الباطل حتى يأتيك الحق)).

لم يكن أحد من أهل القرية يشعر بالراحة لرؤيته .. كان البعض ينفر منه لمظهره الدميم .. الأطفال يتملكهم الرعب إذا وقعت عيونهم عليه .. كانوا يهرولون إلي بيوتهم صارخين، وكان أهلهم يخوفونهم به .. الكثير من المزارعين في القرية تهامسوا أول الأمر فيما بينهم عن عادة سيئة أخذت تسيطر على الشيخ عفريت ابن بهية العرجاء .. وعلى وجه التحديد منذ أن تضخم صوته، وارتسم شاربه الشحيح فوق شفته العليا الضامرة .. رآه أكثر من فلاح وقد اقتحم زريبة المواشي في الغيط، واعتلى الحمارة فاعلا بها الفحشاء .. تكاثر الهمس وارتفع إلي أن صار تنكيتا، وسخرية، وتحذيرا، على مستوي القرية والقرى المجاورة..

((لا تترك حمارتك في الزريبة وإلا سطا عليها الشيخ عفريت!!!)).

((أنا خائف .. لقد اقترب موعد ميلاد حمارتي أخشى أن تلد جحشاً يشبه شكل الشيخ قرد!)).

((ولماذا تخاف ؟! .. إذا وقع هذا مع حمارتي،سأحمله في الحال إلي أبيه الشيخ قرد ليربيه..)).

لم يتوقف الخبر عند الرجال، بل تعداه إلي ألسنة وآذان نساء القرية .. بعضهن شعرن بالاشمئزاز والقرف .. كيف لإنسان

أن يفعل الفاحشة بحيوان؟!.. لكن العديدات منهن سيطر عليهن الفضول .. كيف يتمكن الشيخ قرد من اعتلاء الحمارة؟!!.: وهل يقدر عليها؟!! .. ولماذا يفعل هذا؟!! .. ألقلة عدد النساء في القرية ؟!! .. لعبت بعقول بعضهن فكرة عمل فخ للشيخ سليمان .. ستضع حمارتها في الزريبة وتختبئ ، وتراقبها حتى يأتي ابن بهية ويعتليها .. ولكن يتوقف تفكيرها عند سؤال خطير وجرئ .. ((وماذا سيحدث بعد هذا ؟!!)).

الشيخ قرد نفسه لم يكن يشعر بالخجل عندما كان يحاوره بعضهم في شكل مزاح عن هذه العادة القذرة، التي لا يرضاها دين ولا عرف .. كان يرد عليهم مستخفا: ((إنني أمسك بالباطل حتى يأتيني الحق .. سأبدأ بجميركم حتى أصل إلي نسائكم)).

كان تسليمه واعترافه بكل آثامه ورذائله في مواجهة الآخرين ، وعدم التفكير في التبرير أو الإنكار لها، سرا من أسرار إعجاب البعض به ، وبجراته في مواجهة الجميع، ومدعاة أيضا للحقد عليه والاحتقار من قبل الجميع ..

الإنسان الوحيد في القرية الذي كرهه لسوء أفعاله، وليس لخلقته وشكله، هو الشيخ سيف الدين عبد الحق، إمام مسجد القرية، ومن قبل كان شيخ كتاب القرية، عندما كان الشيخ سليمان ابن بهية واحدا من تلاميذه .. كان يعطف عليه كثيراً ، ويتوسع في مدحه في حضور بقية زملائه ؛ حتى يعوضه عن حظه العاثر في الوسامة التي لا دخل له فيها .. فلقد ولد هكذا بعين واحدة ، وكآبة تفترش جميع ملامح وجهه .. وزاد عطفه عليه عندما كان يلمح ابتعاد بقية الأطفال عنه، وتحاشيهم الجلوس بجواره .. كان الشيخ يكرر عليهم: ((إن الله لا ينظر إلي صورنا وأجسادنا ، ولكن ينظر إلي قلوبنا وأعمالنا .. وإن المسلم الحقيقي ينبغي عليه ألا ينفر من أية خلقه خلقها الله تعالي)).. وكان يكرر لهم: ((إن الذي يسخر من خلقة خلقها رب العالمين ، إنما في الحقيقة يسخر من الخالق نفسه، وليس من المخلوق ، وهذا جرم عظيم يجب الابتعاد عنه)).

لكن هذه الشفقة على سليمان ابن بهية لم تستمر في قلب الشيخ سيف الدين .. بل حل مكانها أطنان وأطنان من المقت

والكراهية .. ولم تتراكم هذه الكراهية إلا بتراكم حوادثه، التي كانت تتزايد يوما بعد يوم، وكلما كبر سنه .. ففي إحدى المرات وبينما كان الشيخ منهمكا في تحفيظ القرآن للأطفال ، لمح ابن بهية منشغلا عنه بربط أذيال جلابيب بقية الأطفال بعضها ببعض .. كان يومها في الخامسة من عمره .. صرخ فيه الشيخ غيرة على جلال القرآن الكريم الذي انصرف عنه ابن بهية بتدبير المكائد، وخلق النزاعات بين الأطفال وإثارة الفتن : ((لا تكن مطية للشيطان يا سليمان)) .. تصنع ابن بهية البراءة .. أقسم بالقرآن الكريم أنه لم يفعل شيئا ، واتهم زميله الذي يجلس بجواره .. لحظتها لم يتمالك الشيخ سيف الدين نفسه ؛ لأن ابن بهية - بالرغم من صغر سنه - يعتدي على كتاب الله مرتين في وقت واحد . ((تنصرف عن القرآن!..ثم تقسم به باطلا؟!!)) ولم يتركه يومها إلا بعد أن نفث عن غضبته بضربه على مؤخرته بالعصا .. كلف عاطف ابن العمدة باحتضانه له ؛ حتى يتمكن من ضربه على مؤخرته .. فمع أن عاطف كان يناظره في العمر إلا أن جسده كان يفوقه بكثير .. يومها لم يتمالك الأطفال أنفسهم من الضحك على ابن بهية، وعاطف يحضنه ، وسيدنا يضربه ، وابن بهية يصرخ مستنجدا ومستحلفا الشيخ سيف الدين بالقرآن للتوقف عن الضرب: ((وهل احترمت أنت القرآن حتى تعرف قدره ، وتحلف وتستحلف به يا مطية الشيطان؟!!)).

زاد ضيق الشيخ سيف الدين منه لحظتها، عندما رآه يغرب في الضحك مثل بقية الأطفال ، وكأنه هو أيضا يضحك ويسخر من إنسان آخر .. مما جعل الأطفال يتوقفون عن الضحك والسخرية منه وينظرون إليه بدهشة .. يومها اكتشف الشيخ سيف الدين أن ابن بهية لديه قدرة خارقة على كبت أحاسيسه، وإحالة هزائمه وآلامه إلى انتصارات وأفراح .. لحظتها توقع أن ابن بهية ينتظره مستقبل رهيب : ((ليرحم الله هذه القرية من شره !!..آمين)) ابتهل الشيخ سيف سرا إلى الله .. ولم يدر لماذا تذكر في هذه اللحظة ما ورد في الكتب عن المسيخ الدجال.. فاقشعر بدنه ، واستعاذ بالله من الشيطان ؛ وأن يكون زمن المسيخ الدجال قد دنا.. لكنه لم يبح في وقتها بهذا التوجس لأحد.. بل ردد بينه وبين نفسه مستغفرا: ((استغفر الله العظيم .. إن بعض الظن إثم..)).

لم يتوقف ابن بهية بعدها عن الذهاب إلى الكتاب .. بل زاد حبه للكتاب وللقرآن وخاصة عندما أشارت عليه أمه بالخروج في كل يوم خميس بعد العصر إلى جبانة القرية؛ لتلاوة ما يحفظ من آيات القرآن على أرواح الموتى في مقابرهم، وفي حضور أهليهم، والفوز منهم بالفطير والبلح والفلوس .. بشكل دائم كان يرى ابن بهية بين المقابر حاملا في كتفه حقيبة كبيرة صنعتها له أمه من القماش القديم .. كان يذهب بها فارغة ويعود بها مع المغرب ممتلئة ، ويكاد يجرها جرا لثقلها.. لكن بعد ذلك كانت أمه تصحبه إلى المقابر؛ لتحمل عنه الحقيبة، ولتساند ابنها الشيخ سليمان كما كانت تدعوه في حضور الناس؛ لتكبر من قيمته حتى يزاد له العطاء .. كانت بدورها تدعو للموتى بالرحمة ، وتحمل جرة ماء على رأسها ، وفي يدها الكوز الصدئ الذي تعاير به الماء ؛ وتصبه فوق نبتة الصبار الرابضة أمام قبر المتوفى ؛ حتى يزداد اخضرارها؛ وتتزايد له أيضا الرحمة والمغفرة .. ولم يكن هذا بالمجان .. كان مقابل الكثير من الفطير والبلح والقروش أيضا.. ولم تعد تكفيهما الحقيبة القماشية القديمة لجمع غلة يوم الخميس السعيد .. لذلك فكرت في صنع أكثر من حقيبة .. وأشار عليها ابنها الشيخ سليمان بوجوب تخصيص كل حقيبة لنوع خاص به .. فحقيبة الفطير غير حقيبة البلح والفاكهة .. أما القروش فلابد لها من مخبأ داخلي في الجلباب الذي ترتديه أمه، يسمح للقرش بالدخول بسهولة، لكنه لا يخرج منه إلا بشق الأنفس!

كانت الحاجة أمينة قابلة القرية هي أول الفزعات من الشيخ سليمان حتى قبل أن تسميه أمه بسليمان .. فما أن تمكنت من انتزاعه من بين أحشاء أمه، حتى شملها رعب كموج البحر المتلاطم .. كان رعبها موزعا بين وجه بعين واحدة يقظة تستفحص المرأة بجرأة مراهق شبق ، وبين فم فاغر يقرقع بالضحكات غير باك كبقية الأطفال ، وسقطت عيناها بدهشة غامضة على ما بين فخذية ، لم تتمالك نفسها، صرخت مروعة ((لطفك يا رب .. إنه رجل بالغ !!)) .. بأصابع مرتجفة ، وجسد مرتعش أسرعت بإنهاء كل شئ .. عقد لسانها بعدها بأيام لم تنطق .. فكرت أكثر من مرة أن تسأل بهية العرجاء عما إذا كان

هذا الطفل ابنها من زوجها المتوفى منذ شهور ، أم أنها ولدته لجنى ضاجعها بعد موت زوجها ؟!!.. لكنها لم تواتيها الجرأة لطرح ما تغص عليها ساعات ليلها ونهارها .. إلا أنها لم تستطع كبح رغبة طاغية في إلقاء نظرة أخري على ما بين فخذية ، فربما خدعها بصرها وتوهمت في لحظة غاب عنها وعيها ، ولم تفرق بين فخذي الطفل وبين فخذي زوجها الراحل .. تعللت لأمه شبه البلهاء بضرورة الكشف عن سرته ؛ للاطمئنان على سلامتها .. شهقت أكثر من مرة .. تأكدت .. لم تبح بهذا الأمر لأي مخلوق آخر برغم شهرتها في إفشاء الأسرار .. بعد أسابيع تزوجت من رجل غريب عن القرية ، سافرت معه إلي البعيد ، ولم تعد إلي القرية مرة أخري ، ولم يعد أي من أهل القرية يعرف أو يسمع عنها أي شئ .. توقع البعض بعد أن أحصى عمرها ، وجمعه على سنوات غربتها عن القرية ؛ أنها ماتت .. لقد تركت منذ ربع قرن زماني بيتها وقطعة الأرض .. أحد أقربائها وضع يده على كل أملاكها ، ومارس كل حقوق الملكية عليها .. لم يفكر أحد في منازعته .. فلم يكن لها ولد أو بنت من زوجها السابق .. لكن فوجئ القريب وفوجئ معه جميع أهل القرية بمُحضر المحكمة يسلم واضع اليد إنذارا من المحكمة بضرورة إخلاء البيت وقطعة الأرض.

لم يكن سبب الدهشة فقط هو إحياء الموتى وإثارة الساكن، بل علمهم بأن الإنذار الصادر من المحكمة يطلب التسليم للمالك الحقيقي ، وهو الشيخ سليمان النجمي ابن بهية العرجاء.((فمتى تملك سليمان أملاك أمينة القابلة؟!! وأين رآها أو عثر عليها؟!..وكيف تم البيع؟!! وهل مازالت على قيد الحياة حتى الآن؟!!)).

الكثير من الأسئلة عصفت برؤوس أهل القرية .. لكن الإجابة لا يعرفها أحد غير الشيخ قرد، الذي غاب عن القرية أكثر من خمس سنوات وبعد وفاة أمه مباشرة .. انقطع عن القرية تماما .. لم يكن أحد عارفا بالضبط وعلى وجه التحديد الجهة التي ابتلعت هذا الملعون .. ولم يكن في الواقع أي إنسان يعنيه أين ذهب .. بل لشدة كراهيتهم له ، ولأفعاله وسلوكه ووقاحته اقتلع الناس سيرته وصورته وذكراه من أعماق خيالهم وفكرهم ؛ ووضعوا فوقها المر والملح حتى لا ينبت فيها من جديد .. لكن هاهو يتململ

بإصرار من أعماق الذكري نافضاً عن سيرته كل ما أهيل عليها من كراهية واشمئزاز .. جعل من نفسه بين ليلة وضحاها حديث أهل القرية .. من جديد فرض عليهم النبش في الذاكرة ، ولم يكتف بمجرد النبش ، بل قرر أن يزلزل أركان القرية عندما فاجأ الجميع بالتهامه المفجع لتفاحة القرية الناضجة .. بدرية مختطفا إياها من أحلام الدكتور عاطف ابن العمدة الذي يكمل دراسته للطب ولم يتخرج بعد .. وما زال السؤال الصارخ المستنكر يطرح نفسه في عيون أهل القرية كلهم ((لماذا عاد من جديد؟!! وكيف تسنى له الزواج من بدرية ؟!!)).

الفصل الثاني

أفاق سكان القرية بعدها بأيام منغصين منزعجين؛ على إثر الضجيج المتناثر على وجه الحقول، بل وفي أعماق القرية نفسها، كلما أخذت تتعالى وتتواصل في سمائها الشتوية الغائمة هذه الدقات المنتظمة المتكررة..حسبها الناس دقات مدقة حديدية هائلة في يد عملاق أسطوري!!

فتح الفضول و التساؤل المتبرم النوافذ الموصدة منذ أول الليل؛ فزاد اقتحام الضجيج للحجرات الطينية الضيقة المكدسة بالأجساد الهزيلة وبدخان الحطب المحترق في مواقد التدفئة، وانهالت لكمات الصبح البارد فوق الوجنات المتوردة حرارة ودفئا، ويبدو أن إرسال النظرات الملهوفة المستفسرة من خلال طاقات النوافذ الضيقة لم تكن كافية لإشباع الفضول؛ لذا تدفق القرويون من فتحات أبواب بيوتهم الواطئة خارجين فرادى وجماعات ، كان كل منهم يسأل الآخر عما يحدث في القرية .. لم يكن لدى أي منهم التفسير الشافي.

دفعتهم سيقانهم السمراء النحيلة إلي خارج مساكن القرية، حيث عيدان البرسيم المترنحة تحت ثقل حبيبات الصقيع القاتل يزداد اضطرابها رعبا وزعرا لهول هذه الطرقات الرعدية التي لم تسمع بها من قبل ، وكأنها تعيش معركة حربية حقيقية مما جعل العصافير وجميع الطيور الأخرى تفر هاربة بنفسها طالبة النجاة في قرية النصارى المجاورة.

تجمع الناس حول الكثير من العمال الغرباء الذين يعملون على آلة مرتفعة في السماء كانت ترفع كتله ضخمة من الحديد مقيدة في حبل من الحديد .. كان يرفعها إلي أعلى ثم يتركها لتهبط ساقطة فجأة وبحدة وقوة فوق ماسورة ضخمة من الحديد زرعت في أرض احد الحقول التي جردها العمال الغرباء من فروها الأخضر فبدت حليقة كرأس إفريقية .. تقدم أكثر من فلاح ليسأل أحدا من العمال الغرباء عما يفعلون في أرض جعفر أبو حسين التي ورثها عن عمته أمينة قابلة القرية القديمة

التي ماتت في بلاد الغربة .. لكن أياً من العمال لم يفهم بالضبط أسئلة القرويين.

لم ينقذ الموقف ، ولم يبرح أهل القرية إلا الحاج عبد المحسن أبو بدرية الذي برز لهم فجأة من بين العمال ، وكأن الأرض قد شقت عنه وخرج منها .. فهم لم يروه من قبل .. ألقى عليهم تحية الصباح بوجه باش يتفجر بالضحكات الهادئة التي كان يسربل بها كلماته، التي أحب لها أن تكون ورعة وتقية: ((يا أهل القرية .. هذه الأرض ما كانت في يوم من الأيام ملكا لجعفر أبو حسين لقد كانت ملكا خالصا للحاجة أمينة قابلة القرية، التي تقيم حاليا في القاهرة، ولقد باعتها لزوج ابنتي التقي الورع الشيخ سليمان بارك الله فيه . وحبا منه في الله ، واعترافا بحق قريته عليه، قرر أن يقيم فوقها مسجدا .. لا .. بل جامعا ضخما لتؤدي فيه الفروض الخمسة ، وليس هذا وفقط بل سيقيم فوقها معهدا دينيا لتربية أولادنا تربية إسلامية ، ونحفظهم القرآن الكريم .. ليس هذا وفقط .. بل إن زوج ابنتي - بارك الله فيه وفي أمثاله - قرر أيضا أن يهدم بيت الحاجة أمينة في وسط القرية ويبني مكانه دارا لكل أهل القرية سيسميها دار الصداقة والأخوة .. يجتمع فيها معكم لحل مشاكلكم وقضاء حوائجكم .. هل رأيتم عطاءً وكرما مثل عطائه وكرمه ؟! .. ادعوا له بالبركة والتوفيق في كل ما ينوي عمله .. آمين يا رب العالمين)).

كانت الدهشة رداءً سميكا اختبأت فيه كل الملامح والوجوه المتابعة لما يقوله الحاج عبد المحسن أبو بدرية .. كانت آذانهم تستقبل كلماته .. العيون تحملق ذاهلة .. الوجوم هو اللون الطافح فوق كل السحنات، والعقول التي بدأت تستيقظ أخذت تقارن بسرعة فائقة بين الشيخ قرد سليمان ابن بهية، وبين هذا الشخص الذي يتكلم عنه أبو بدرية الآن باستحسان وتعظيم ، ويدعو له بالبركات والتوفيق .. لم يفلح أي منهم مهما كانت مرونته وقدرته على تقبل الجديد أو الصدمات أن يصنع في ذهنه أو خياله جسرا يربط بين ماضي الشيخ قرد الكالح ، وبين هذه الصفات الطيبة التي تفوه بها الرجل منذ قليل.

استمر وجومهم هكذا لفترة طويلة إلى أن شق أحدهم الصمت بسؤال مباشر ومتوجس، سحق به ابتسامات الحاج عبد

المحسن من جذورها:((امتأكد انت من أن الشيخ سليمان هذا الذي تتكلم عنه وتقول إنه زوج ابنتك ، ويقيم كل هذه المشروعات الخيرية هو هو بعينه الوحيدة الشيخ قرد أو الشيخ عفريت لعنة الله عليه؟!!)).

أربد وجه الحاج عبد المحسن .. شرد للحظات انقطع فيها عن النظر إلى الواقفين حوله .. طأطأ رأسه .. كان ينقب بعينيه في الأرض المبللة ببقايا الصقيع .. ثم رفع رأسه متوجها إلى من وجه إليه هذا السؤال الفظ .. قال بأنفاس ساخنة وجادة: ((من العار علينا أن نحاسب الناس على فترة شبابهم الشقي .. ولأننا مسلمون كان يجب علينا التذكر أن الله اسمه التواب .. وأنه يفرح بعودة عبده العاصي التائب إلى رحابه نادما مستغفرا .. بل ربما يكون هذا الشخص التائب النادم أكثر إيمانا من أقرانه الذين لم يرتكبوا مثلما ارتكب هو من ذنوب أو معاص .. فإذا كان الله خالقنا يقبل .. بل ويفرح بعودة العبد التائب .. فمالنا نحن يا عبيد الله ومخلوقاته الضعيفة لا نتقبل ابن قريتنا الذي تاب وأناب، وفتح الله عليه ، ورزقه من الأموال الكثير والكثير، وأراد أن يقدم يد الخير لأهله وناسه الذين عاش بينهم ؟! .. استغفروا الله جميعا لأنكم ظلمتم الشيخ سليمان بسبكم إياه)).

كانت كلمات الرجل بردًا وسلامًا على معظم الواقفين أمامه .. بعضهم سلم بما قاله وندم في الحال عما بدر منه من سوء الظن في الشيخ سليمان التائب، وارتفع صوته مرددًا في ابتهال: ((استغفر الله العظيم .. سامحنا يا رب .. كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)).

لكن البعض الآخر لم يسلم بكل ما قال به أبو بدرية ، ولا حتى ببعض مما قاله .. بل لعن الرجل في أعماقه .. وهيئ له أن الرجل يتكلم إليهم بطريقة غريبة، لم يعهدوها فيه من قبل ، خمن بعضهم أن الرجل مسحور .. فالحاج عبد المحسن أبو بدرية لم يعد، كما كان الرجل اليقظ المنتبه!! .. لم تعد نظراته حادة نافذة كما كانت! ، صار منكسرًا مستسلما ، وخبت حدة نظراته، وتهدلت ملامحه، وبدا وكأنه يحمل فوق أكتافه جبالا من حديد وكبريت، وبالرغم من حرصه الشديد على أن يكون حديثه إلى الناس مؤثرا وصادقا ، إلا أنه لا يبدو عليه تماما أنه شخصيا مقتنع

بكل ما قاله .. فلم يروه من قبل منكس الرأس أو مطأطأ الهامة.. كان دائم النظر إلى السماء مرفوع الجبهة .. لم تكن نظراته تصطدم أبداً بطين الأرض .. لكنه الآن يحاول بين لحظة وأخرى أن يواريها في التراب .. شعر بعض الواقفين بذلك أيضاً ؛ فسأله مستدرجا: ((منذ أكثر من أسبوعين ونحن نسمع أخباراً متوالية عن عودة الشيخ سليمان .. مرة بواسطة محضر المحكمة الذي جاء وانتزع ملكية بيت أمينة من ابن أخيها جعفر أبو حسين بالقوة الجبرية لصالح سليمان ابن بهية ، الذي لم يظهر، وأناب عنه أحد الغرباء لا نعرفه .. ثم صعقنا خبر زواجه من زهرة بنات القرية بدرية ابنتك!! .. ولم نصدق!! .. بل وكذبنا بشدة .. وأقنعنا أنفسنا بأنها مجرد إشاعة لا يمكن أن ترقى أبدا إلى أية مرتبة من مراتب الصدق .. ثم هاأنت الآن تسكب في مسامعنا نحاسا منصهراً .. وتؤكد صدق الخبر وتفخر بأنه زوج ابنتك ، بل وتدعو له ، كما لو كان قد صار بالنسبة لك وليا من أولياء الله الصالحين .. لكننا حتى الآن لم تقع عيوننا عليه .. منذ أن هجر القرية ومعه سمعته السيئة - التي تعرفها أنت كما يعرفها كل أهل القرية- .. لم نره .. أين هو؟! .. ومتى تم زواجه من ابنتك؟! وأين ؟! ولماذا ؟!!..)).

لم يجبه أبو بدرية في الحال .. لم تكن الإجابة مخزنة في ذاكرته من قبل.. كأنه لم يتوقع أبداً أن يطرح أحد عليه مثل هذه الأسئلة.. كما لو كان زواج ابنته من الشيخ فرد زواجا طبيعيا ومتوقعا لا يثير كل هذا الغيظ والحنق والدهشة في نفوس الآخرين .. لم يتمكن من ستر انفعاله الذي فجر ينابيع العرق تحت إبطيه وبين ثنايا جبهته بالرغم من البرودة الشديدة لهذا الصباح .. عاد من جديد ينقب بين ذرات التراب الذي يحيط بقدميه عن إجابة يدفع بها عن شخصه آلاف التهم المستترة في صدور أهل قريته، الذين يقفون على تاريخ الشيخ سليمان ، لكنه لم يشأ أن يستسلم، وينهار في أولى خطاه ، همست إليه أفكاره محذره: ((لقد بدأت الطريق، ومحتم عليك أن تصل فيه إلى نهايته ، لابد أن تكون أقوى مما تحدثهم به نفوسهم .. لا تهادنهم .. لا تتودد لهم .. لا تطأطئ .. إنهم أهل قريتك وأنت أدرى بهم وأعلم .. إنهم قوم ينهض اقتناعهم بالأمور على أسس من الخوف ..

الخشية وليس العقل .. بادرهم بالهجوم .. لا تقدم لهم إجابات .. اطرح عليهم أسئلة وإهانات)).

في التو رفع رأسه وقد عقد ما بين حاجبيه، وكسا وجهه بقناع الجدية والغضب ، ثم صرخ في وجه من تجرأ وصفعه بكل الأسئلة السابقة:((ما صفتك أنت لكي تطرح علي مثل هذه الأسئلة؟!! وماذا يعنيك أنت أو غيرك من زواج ابنتي من الشيخ سليمان أو من غيره؟!! أنتم هكذا يا أهل هذه القرية تحقدون على كل من يمنحه الله رزقا واسعا.. تحاولون مداراة حقدكم في تلويث ماضي كل من رضي الله عنه .. لقد طلب منا أن نذكر محاسن موتانا الذين رحلوا .. فكيف الحال بأحيائنا الذين بيننا ؛ وخاصة إذا كان هذا الحي قد رضي الله عنه ، وعاد إلينا فاردا ذراعيه لنا بالحب والخير والمصلحة . لماذا أنتم هكذا تعشقون الغيبة والنميمة؟!! .. لماذا تعشقون أكل لحوم إخوانكم؟!!.. أنا أجيبكم لماذا .. لأن اتصالكم بالله ضعيف! .. لأنكم مسلمون بالاسم فقط! .. لا تطبقون أحكام الله وأوامره ونواهيه على سلوككم وتصرفاتكم! .. أفضل من فيكم يؤدي طقوسا فقط! .. مجرد طقوس! .. صلاة صوما .. زكاة .. حجا .. لكن الغيبة والنميمة الطعن في أعراض الناس وشرفهم لا يمكن أن نتخلى عنها أبداً!! .. هكذا أنتم يا أبناء قريتنا !! لابد لكم من ......)).

خيل لبعض الواقفين من أهل القرية أن أبا بدرية قد فقد السيطرة على لسانه .. لم يعد قادراً على إيقاف نفسه عن الكلام اللاهث الذي يتفجر به شدقاه ووجهه المحمر وعيناه الجاحظتان كعيني سمكة.

لذا تدخل أحدهم مقاطعاً إياه بصوت جهوري .. أكثر علواً ورنيناً من صوته، مهدئا إياه .. كأنه يعتذر له عما بدر من الآخر: ((لا تغضب يا حاج .. الأسئلة لم تكن للإساءة إليك أو إلى الشيخ سليمان زوج ابنتك .. فقط كانت للاطمئنان إلى كل ما يحدث ، وإذا ما كان يحدث برضاك أنت وبشكل طبيعي أم لا .. لكن ما دمنا قد اطمأننا عليك ؛ فلا تهتم بما قيل أو سيقال .. وعلى أي حال حقك علينا)).

نبتت في الحال زهور غضة من السعادة والرضا، وافترشت كل تضاريس وجه أبي بدرية على إثر سماعه لما قيل له

من اعتذار .. أيقن أن خطته قد نجحت .. وازداد إيمانه بما ردده سليمان ابن بهية على مسامعه منذ أيام محفظا إياه ((الهجوم خير وسائل الدفاع)) .. فافترت شفتاه المتقلصتان عن ابتسامة شكر وانتصار .. وقرر أن يضمد الجروح التي فتحها في نفوسهم بمشرط كلماته الحادة الملتهبة: حتى تندمل وتشفى، قبل أن تعبث فيها جراثيم الحقد عليه وعلى سليمان من جديد ، ويقضى على مشاعر الاحتجاج التي قد تولدت في نفوس البعض منهم على إثر انفعاله الجامح ، وما امتزج به من طعن فيهم وتصرفاتهم ، فقال بنبرات هادئة ودودة: ((لا تؤاخذوني يا أهلي .. حبي لكم وخوفي عليكم هو الذي دفعني للتصريح بما سمعتموه مني .. نحن هنا في هذه القرية أهل .. يجب أن يخاف كل منا على الآخر ، وأن يحمل كل منا هم الآخر .. لذا ما كنت أحب أن ألمح في عيونكم مجرد شك أو عدم ثقة في كل ما أفعل .. فأنتم تعرفون جيداً من هو الحاج عبدالمحسن ، وتعرفون مدى رجاحة عقله وتصرفاته الحكيمة..وعندما وافقت على زواج ابنتي بدرية، كنت أوافق لمصلحتها وبعد إرادتها هي .. حقها الشرعي .. وربما لن تصدقوني لو قلت إنني وافقت أيضا لمصلحة القرية كلها وجميع أهلها)).

هنا لم يتمكن الجميع من التحكم في زمجرة تعجب ورفض بدرت عنهم بتلقائية، فزمجر أحدهم دهشا متسائلا بصوت معبر عن الجميع ، أو هكذا بدا للحاج عبد المحسن: ((وما مصلحة القرية يا حاج في أن يتزوج الشيخ سليمان من ابنتك بدرية؟!)).

من جديد تدفقت شحنات الرضا والسعادة بين نسيج جلد وجهه؛ بعد أن لمست أحاسيسه مدى التحول في حديثهم عن الشيخ سليمان .. صاروا يتكلمون عنه بشيء من الاحترام .. لم يعد أحد منهم ينطق متهكما بالشيخ قرد أو الشيخ عفريت؛ وبذلك يكون قد نجح في تحقيق الجزء الأول من الاتفاق الذي تم بين سليمان ابن بهية وبينه.. ولذا قرر أن يواصل بهمة وإصرار إرساءه لمزيد من الاحترام والتقدير لزوج ابنته فقال موضحا: ((عندما تقدم الشيخ سليمان طالبا الزواج من بدرية..لم يكن غائبا عن ذاكرتي، كل ما كان يسكن في ذاكراتكم ، عن أيام شقاوته .. فكرت أن أرفض هذا الزواج .. فما الدافع الذي يجعلني أوافق على

زواج رجل له مثل كل تلك التصرفات السابقة .. وخاصة أنكم تعلمون أنني والحمد لله لديّ المال، ولست محتاجا إلي أمواله التي حصل عليها من عمله في الخارج ، منذ أن ترك القرية من خمس سنوات مضت.. وتعلمون أيضا أن ابنتي بدرية- بسم الله ما شاء الله- قد حباها ربها الجمال والعلم والأخلاق .. وأن أفضل الرجال يتمنون الزواج منها ، أو حتى مجرد نظرة من عينيها..)).

شعر الناس بأن الحاج يمر بلحظات صدق ، وأنه بالفعل يعبر بلسانه عن كل ما دار وما زال يدور في أعماقهم ويؤجج غضبهم .. فوجدوا أنفسهم وبتلقائية غير محسوبة يقتربون بأجسادهم وأسماعهم وقلوبهم من الحاج عبد المحسن متجاهلين تماما أصوات الدقات المتواصلة المنتظمة لجهاز حفر الأساس ، والذي ما زال يشق السماء بدقاته وبصداها .. في لحظة توحدت الأنفاس ، وانتظم نبض عروقهم جميعا .. كأن دماؤهم تتدفق في شرايينهم من قلب واحد .. وطغت السعادة أكثر في أعماق أبي بدرية فانهمر كلامه بسخاء ليروى ظمأ فضول أهل القرية، الذين تحلقوا حوله متشوقين: ((صدقوني عندما قابلته كان من الصعب أن أتعرف عليه من جديد..لقد صار رجلا غير الذي كان .. صار وقورا لا ينطق إلا بالحكمة .. هادئا مهذبا لا يتفوه إلا بالكريم من القول .. نبرات صوته كما لو كانت تغريدا لطيور سماوية بعيدة .. زيه صار أكثر وقارا واحتراما من رجال الدين المعروفين لنا جميعا .. ومع ذلك لم أعطه الموافقة النهائية لحظتها .. وحتى بعد أن استطلعت رأي بدرية ووافقت أيضا لم أعطه الموافقة النهائية .. لكنه عندما أفضى إلي بأحلامه وأمانه وطموحاته بالنسبة للقرية وأهلها .. بالنسبة لكم جميعا ياأهل البلد .. انفرجت أبواب قلبي له على مصراعيها .. رحبت به في الحال .. فإذا لم يوافق والد البنت على زواج ابنته من رجل فاضل محب للخير .. يفكر في خير وسعادة الجميع .. فعلى من يوافق إذن؟!! .. أخبرني عن رغبته في حل مشاكل أهل القرية..عن عمل المشروعات الطيبة التي تجعل حياتكم جنة.. ماذا كنتم تنتظرون مني؟!!..هل أرفض خيرا أرسله الله إلي القرية؟!!.. وافقت في الحال بالرغم من علمي أن هناك من سيدهش ويجن لمثل هذا الزواج..لماذا؟ .. لأنه لم يعرف بعد الشيخ سليمان الجديد..لأنه لم يزل محتفظا بصور الشقاوة

في أيام مراهقته التي مررنا بها كلنا بدرجات مختلفة .. لذا أطلب منكم تأجيل الحكم عليه فقط لحين الالتقاء به والجلوس معه والاستماع إليه .. وأنا واثق تماما أنكم ستندمون على احتفاظكم في ذاكراتكم بصورته القديمة)).

بالرغم من أن أحداً منهم لم يناقشه في كل ما ادعى به..إلا أن معظمهم قد استسلم نهائيا ، ويكاد يكون نادما في أعماقه عن كل ما وصم به الشيخ سليمان من رذائل.. بل إن الكثيرين منهم تنامت آمالهم وأحلامهم السعيدة حول مقدم وعودة الشيخ سليمان الجديد إليهم ..ومعه أموال الخارج.

لكن البعض كان يتوجس من كل ما وقع ويقع أمامه .. بل كان يرتاب في الطريقة التي كان يتكلم بها الحاج عبد المحسن إليهم لإقناعهم بسليمان الجديد .. همس أحد المعلمين في القرية إلي زميله ((إن كثرة كلام الحاج عبد المحسن ، ونبرات صوته ، وطريقته تحرك مشاعر غير مطمئنة في داخلي .. بصراحة أنا لا اطمئن لكل ما يحدث في القرية بين يوم وليلة .. أن يتحول المنحرف الزنديق إلي ولي من أولياء الله لمجرد أنه عمل في الخارج لخمس سنوات !! فهذا أمر يصعب تصديقه .. بل يكون من الغباء تصديقه..)).

لم يعارضه زميله ، وهو ينفض مبتعداً عن الحاج عبدالمحسن الذي لم يزل يسهب في الإطراء والمديح لزوج ابنته .. قال له وهو يتأبط ذراعه حاث الخطى في عودتهم إلي مساكن القرية ، بعد أن لاحظا أنهما سيتأخران عن الذهاب إلي المدرسة الابتدائية التي يعملان فيها ((أنا معك في كل ما تقول وتشك .. كيف يتسنى لمثل الشيخ قرد أن يتزوج بمثل بدرية فائقة الجمال والأخلاق .. المعلمة الإعدادية التي يتمناها الجميع .. أصارحك الحقيقة إنني تمنيت أن أتزوجها ، لكنني كنت عاقلا، ورأيتها أبعد من أحلامي .. فكيف لهذا القرد؟! .. كيف سمح لنفسه أن يفكر مجرد تفكير في الزواج منها؟! .. كيف ولماذا وافقت هي؟!.. بالرغم من حبها المثالي والجارف للدكتور عاطف ابن العمدة .. في الحقيقة بالرغم من الكلام الذي أفرغه الحاج عبد المحسن في مسامعنا كالمسحور .. أحسست أنه (مبرمج) من قبل غيره .. شعرت أن الكلام ليس كلامه ، وأن اللسان ليس لسانه .. أصارحك

الحقيقة لم تزل نفس الأسئلة السابقة تطعن أعماق راحتي وقناعتي .. بل تضخمت أكثر وأكثر بعد ملاحظتي لكل ما تفوه به الحاج الآن .. أشعر بأن الأمر وراؤه سر خطير .. ما هو؟ لا أستطيع أن أخمن بالضبط!!)).

هز زميله رأسه مؤكداً قبل أن يفترق عنه قاصداً بيته - الذي اقترب منه - مشدداً عليه في دعوته لتناول الإفطار معه ،ثم عقب قائلا قبل أن يتركه زميله شاكراً له دعوته:

((لننتظر .. سنرى ماذا يخبئ المستقبل لنا ولهذه القرية مع الشيخ قرد)) .

الفصل الثالث

منذ أن وعي سليمان ابن بهية لوجوده الطفولي، وقعت بين يديه قطعة من مرآة مكسورة، عثر عليها وسط القمامة، نظر فيها .. دهش .. عاود النظر إلي الناس من حوله، ثم أعاد النظر من جديد إلي وجهه في مرآته المكسورة المعفرة.. أدرك وسط طعنات الفزع التي اكتسحت خلاياه ومشاعره أنه مختلف عن الآخرين .. أسرع إلي أمه ساخطا ناهرا لها: ((لماذا منحتني عينا واحدة لوجهي .. بينما كل الناس لديها زوج من الأعين؟!!)).

لم تفاجأ أمه .. لم تدهش مثل دهشته .. أشاحت في وجهه بقرف: ((حظك أحسن من غيرك..هناك من يتمني أن يكون له عين واحدة..لأنه حرم من كل النظر..)).

لم يقتنع بإجابتها .. زاد من وخز طعنات الألم في نفسه ما لمسه في أمه من عدم مبالاتها لأمر اختلاف خلقته، أو حتى مشاركته لمشاعر الحزن والدونية التي تملكته.

قلب عينه في الأرض فوجد زلطة كبيرة .. انحنى عليها..التقطها..بسرعة البرق صوبها إلى وجه أمه قاصداً إحدى عينيها؛ كي تتساوى معه .. لكن من حسن حظها أنها أمالت رأسها .. طاشت الزلطة بعيداً عنها .. انطلقت خلفه مهددة ومتوعدة .. لم ينتظرها حتى تلحق به .. سابقها .. ظل يجري حتى تمكن من الاختفاء بعيداً عنها .. قذف بنفسه في إحدى حدائق أشجار الليمون التي تحف بالقرية .. لم يعبأ بالأشواك التي تفترش أرض الحديقة .. كان يتعمد المشي فوق الأشواك لعله يشعر بآلام أشد من تلك التي كانت تخنقه؛ حتى تدفعها بعيدا عنه وينساها.. شعر بوخز الأشواك يلهبه، ولكنه لم يتوقف، رأى الدماء تسيل من قدميه، ومع ذلك واصل السير فوق الأشواك ولم يتوقف.

فجأة توقف عندما شد نظره هذه العصفورة التي تحط فوق عشها لتطعم صغيريها الفرحين بمقدم أمهما .. أثاره صوت الزقزقة المبتهجة بعودة الأم والطعام .. تسلل بعينه تحت شجيرات الليمون الكثيفة المتشابكة .. عثر على جريدة نخيل جافة ملقاة على الحشائش البرية .. تسلل إليها بخبث ..رفعها بحرص شديد ..

نقدم شيئاً فشيئاً إلي الشجرة التي تحتضن العش وبهجة التلاقي .. بكل ما يتفجر في صدره من غيظ وحقد وغل، هوى بالجريدة على العش .. لم تنتبه إليه الأم في غمرة انشغالها بإطعام الصغيرين .. لم تكمل إطعامها .. صوت صريعة بين أشواك وأغصان شجرة الليمون .. عاود الضرب .. انهال على العش.. ألحق الصغيرين بأمهما .. تنفس بارتياح عندما تأكد أنه قضى عليها جميعا .. ألقى الجريدة إلي الأرض .. تسللت أصابعه بين الأغصان .. انتزع العصفورة الأم .. أسرع إلي زجاجة مكسورة .. طرح العصفورة على الأرض .. شق بطنها بالزجاجة ممنيا نفسه أن يعثر في بطنها على أولاد صغار ليتمكن من قتلها أيضا..لم يكتف بهذا بل أسرع إلى خوصة جافة من جريدة النخلة، وأخذ يغرزها في عينيها أكثر من مرة ، حتى تمكن من فقئهما.

لم تكن حادثة المرآة قد جعلته يحس باختلافه عن الآخرين فقط..بل ساعدته أيضا على تفسير الكثير والكثير من التصرفات التي كانت تحيط به، ولم يكن يجد لها تفسيراً من قبل، فهناك نظرات الكراهية والفزع، ونظرات الاشمئزاز التي ترشقه به غالبية العيون التي تطالعه، أو تصطدم بوجهه .. لكن الذي كان يكدر حياته كلها، ويحيلها إلي مستنقع من مرارة وحريق نظراتها هي .. بدرية .. منذ أن كانت طفلة معه في الكتاب كبقية الأطفال .. لم ترمقه بارتياح ولو لمرة واحدة ! .. حتى عندما فكر أن يحصل على هذه النظرة بالغش والخديعة ! .. فقد قام بسرقة قلمها الرصاص ؛ وخبأه في مكان لا يصل إليه أي مخلوق .. بكت بدرية لفقدان القلم .. أمر سيدنا جميع الأطفال بالبحث عن القلم .. مع مرور الوقت كان يضيع أملها، ويزداد بكاؤها .. لم يعثر عليه أحد .. شعر بالضيق والكراهية تزداد تجاه عاطف ابن العمدة حينما اقترب منها مواسيا ومهدهداً على كتفها بحنان: ((سأشترى لك قلما أكبر منه وأجمل..أرجوك لا تبكي يابدرية)) .. لم يتمكن سليمان من أن ينتظر أكثر من هذا ؛ حتى لا يراها تبتسم له كعادتها .. أسرع إلي حيث خبأ القلم .. انتزعه من مكمنه .. رفعه إلي الأعلى هاتفا كالمنتصر: ((لقد عثرت لك على القلم يا بدرية..لا تبكي يا بدرية..سأعثر لك دائما على أي شئ يضيع منك)) .. أقبل نحوها كالفارس .. ظن أنها ستشكره بابتسامة حب

وحنان، مثل تلك الابتسامات التي تمنحها طوال النهار لعاطف ابن العمدة .. او حتى ابتسامة شكر وعرفان..لكنها لم تفعل!! ..بل زادت مشاعر الاشمئزاز على اتساع عينيها .. وقذفتها كلها في وجهه مرة واحدة .. في حضور عيون الجميع، وليتها اكتفت بهذا الطوفان من مشاعر الكراهية التي أغرقته فيها ، بل صرخت من بين دموعها في وجهه: ((أين كنت تخبئه يا سارق؟!!)).

قبل ان يشعر بالغصة تخنقه..لمح بدايات لابتسامات السخرية تحلق فوق وجود الجميع .. قرر أن يصرعهم جميعا ومرة واحدة،فأطلق قهقهة من اعماقه الملتهبة بنيران الحقد على الجميع .. لم يخب ظنه .. بهت الجميع .. لم يستطع اي منهم أن يواصل فتح الباب لابتساماته.. أغلق عليها.. واصلوا دراستهم.. كأن شيئا لم يقع ..

لم تقنعه هذه الحادثة ايضاً بأنه إنسان مختلف وفقط عن بقية الناس .. بل وقر في نفسه وأيقن تماما ان القرب من بدرية .. أوحتى ابتسامة واحدة منها هو المستحيل نفسه .. بل خمن لحظتها ان الله نفسه الذي سمع من سيدنا شيخ الكتاب أنه قادر على فعل أي شئ .. حتما سيعجز عن التقريب بينه وبين بدرية ذات يوم .. وبالفعل لم يحصل منها أبدًا على هذه الابتسامة، حتى عندما كبر الجميع، وتجاوزوا مرحلة التعليم الثانوي إلى الجامعة .. ازدادت الابتسامات والضحكات والمقابلات مع عاطف وحده .. التحق هو بكلية الشريعة والقانون ..والتحق عاطف بكلية الطب ، أمابدرية فقد التحقت بكلية التربية.

تركهما وسافر في إحدى العطلات الصيفة، إلي أوربا بعد ان سمع من العديد من الطلاب عن العمل هناك في موسم العنب .. وعن الإباحية الجنسية .. ترك الجميع خلف ظهره موقنا أن بدرية هي المستحيل نفسه .. ولذا عندما أرادت المنظمة التي احتوته هناك، وعرضت عليه ان يطلب تحقيق اي شئ مهما كان مستحيلا .. لم يجد شيئا مستحيلا غير الزواج من بدرية ..

بالرغم من ان المنظمة قد حققت له المستحيل .. ولا يعرف حتى الآن .. وبعد مرور شهر كامل على زواجه من بدرية .. كيف تمكنت من إتمام هذا الزواج . سألهم بإصرار فأجابوه إننا قادرون على فعل كل شئ .. لكن ليس من حقك أن تسأل عن

الوسائل .. أكثر من ألف مرة في اليوم الواحد يعزم على اقتحام الخوف ويطرح السؤال على بدرية نفسها .. لكنه يتراجع .. يعتقل لسانه داخل شدقيه .. شهر كامل يعيش معها تحت سقف واحد، لم يتمكن من تقبيلها، أو النظر إليها كنظرة الزوج .. تتحرك أمامه في البيت كتمثال جامد .. حتى الابتسامة التي كان يحلم بها لم يرها منها.. في كل مرة كان ينهار حزنا في مواجهة حجرية ملامحها التي لم تعد نضرة ولا مشرقة.

أوحى إلي نفسه أن الأيام المقبلة كفيلة بتحقيق كل ما يريد وما يتمنى من بدرية .. حتما مع الصبر والنفس الطويل سيجعلها تعشق النسمة التي تمر بجواره .. سيأتي اليوم الذي لن تطيق فراقه عنها ثانية واحدة .. وقرر أخيرًا ألا يسألها عن الوسيلة أو الأسباب .. قرر أن يتناسى كل شئ الآن ويتفرغ تماما لتنفيذ بنود العقد الذي وقع عليه بدمه مع المنظمة .. فها هو المسجد يشب بأعمدته الخرسانية الضخمة في الفضاء .. وبيت الضيافة الذي أسسه مكان بيت أمينة القابلة، يوشك على الاكتمال .. وعما قريب وحتما سيتناطح مع غالبية أهل القرية في أمور الدين التي سيقنعهم من خلالها أنه قد صار وليا من أولياء الله الصالحين .. بعد أن غاب في أوربا لخمس سنوات أكمل دراسته في أعرق جامعاتها .. وأنه سجل لإنجاز الدكتوراه التي سيضطر إلي السفر بسببها إلي أوربا بين وقت وآخر .. هكذا أملت عليه المنظمة خطتها العامة .. عندما سألها دهشا عن الهدف من تزوير الشهادات له ومنحه درجات علمية لم يحصل عليها؟! .. أوضحوا له: ((إن بلادكم تعشق الشهادات الدراسية، وتحترم حملة الدكتوراه .. كما أنكم تشعرون برهبة حقيقية، وأنتم بحضرة دكتور جامعي .. فما بلك وأنت حاصل على درجة الدكتوراه من أكبر جامعات أوربا في الشريعة الإسلامية .. ثم إنك مهيأ دراسيا من قبل لهذا .. ألم تدرس في الأزهر حتى السنة الأولي في الشريعة والقانون؟!!..ألست بحافظ للكثير من سور قرآن المسلمين؟!!..لكل هذا-بالإضافة إلى مواهبك الخاصة الأخرى- وقع عليك اختيار منظمتنا لتلعب دورك الخطير على أرض بلدك .. سنحقق لك كل ما تريد .. ولا تسأل كيف .. فقط أطلب .. لكنك لو تراجعت

عن تنفيذ بنود العقد .. او افشيت سر المنظمة فدونك الموت .. وايضا لا تسال كيف)).

هكـذا رشـقته كلمـات مسـتر(وولـف) بحضـور المستر(فوكس) .. لم يكن لديه اية رغبة في المناقشة، أو في الامتناع .. لم يصدق ما سمعه منهم عن مدي قوتهم الرهيبة، وذراعهم الطويلة الرهيبة القادرة على فعل اي شيء في جميع بلدان العالم .. لكن كل ما كان يروعه هي ملامحهم الغير بشرية ، والتي كانت تتغير بمعدل خمس دقائق .. لدرجة انه لا يستطيع تذكر ملامح اي منهما.

لكن مع ذلك أحبهما .. طار بهما .. فها هو أخيراً يتمكن من تحقيق حلم طالما حلم به وخبأه في تلافيف عقله .. دفنه في اغوار نفسه .. حلم بحلم لم يحلم به أي مخلوق غيره كما يعتقد .. منذ أن سبه سيدنا ذات مرة بعد أن شاكس بقية الأطفال،فصرخ فيه معنفا: ((اخشى أن تكون انت المسيخ الدجال يا بن بهية العرجاء!!)).

يومها لم يكن يعرف شيئاً عن المسيخ الدجال، ولا عن السبب الذي جعل فقيه الكتاب يصفه ويقارنه به .. لكنه عندما تقدم به السن، وتمكن من السماع والقراءة عن المسيخ الدجال، زادت دهشته لهذا الشبه الكبير إلي حد التطابق بين شكله وشكل المسيخ الدجال التي أوردته الكتب، وخاصة الشكل القميء والعين الواحدة .. انبهر انبهارا يملأ الأرض والسماوات بقدرته الفائقة على صناعة الوهم وخداع الناس بها؛ حتى يفتنهم عن أديانهم .. وكيف سيتمكن بدهاء من تحويلهم من عبادتهم لله الخالق إلي عبادته هو من دون الله .. كيف بدأ معهم مدعيًا الإيمان حتى حصل على ثقتهم فيه .. تمنى بينه وبين نفسه ان يكون هو حقا المسيخ الدجال؛ لذلك لم يتمهل أو يعطي نفسه فرصة للتفكير عندما عرضت عليه المنظمة ان يقوم هو بدور يشبه دور المسيخ الدجال في حدود قريته والقرى المجاورة اولا .. ثم سيتم له توسيع نطاق عمله على مستوى القطر الذي ينتمي إليه طبقا لجواز سفره.

حتمت عليه الخطة ايضا ان يغير من مظهره .. يجب أن ينزع عنه تمرده على الزي الديني الذي مارسه منذ أن كان تلميذا في إعدادي أزهر .. طلبت منه المنظمة أن يحافظ على زيه الديني ،

ولا يظهر أمام الناس إلا به .. يجب عليه في خلال فترة وجيزة أن يكسب ثقة الجميع بكل الوسائل الممكنة وغير الممكنة .. لذا تحتم أن يبدأ في القرية ببناء مسجد ضخم .. سيجمع بين أداء الفرائض الدينية والدراسة والمحاضرات والندوات .. سيوهم اهل البلد أنه كان يمارس التجارة في بلاد أوربا ، بينما كان يواصل دراسته .. سيمنح أهل القرية المال بلا حساب .. عقود عمل في الخارج كثيرة جاهزة للمشاغبين من أهل القرية وبأجر مغر .. كانت الأوامر لديه واضحة ومحددة ((السيطرة على عقول مراهقي اليوم شباب الغد .. بالدين فقط وليس بشيء آخر)) .. عندما ابدى دهشته لهما مستغربا: ((كيف لنظمة الشيطان العالمية أن تبني مسجدًا وتشجع على التمسك بالدين الإسلامي؟!!)) جاءه الرد حاسما بشكل لا يدعو إلي فتح باب النقاش والحوار: ((لا تكثر من الأسئلة .. ستعرف كل شئ في وقته المناسب .. المهم الا تنسي ابدا أنك صرت حليفا للشيطان العظيم ووقعت معه عقدا بالدم)).

الفصل الرابع

كان كل من معالي وزير الأوقاف وسيادة المستشار المحافظ في مقدمة من حضر حفل الافتتاح الكبير لهذا الصرح الإسلامي العظيم ، الذي تبرع ببنائه رجل البر والتقوى، وابن القرية البار الوفي الشيخ سليمان النجمي ، الذي طالت رقبته فوق الجميع أثناء صلاة الجمعة ، حينما كان يجلس كتفه بكتف سيادة المستشار المحافظ، بينما كان صاحب المعالي وزير الأوقاف معتليا للمنبر ومواصلا لإلقاء خطبه الجمعة ، التي تناول فيها السلوك الإسلامي الصحيح ، والذي يمثله الشيخ سليمان النجمي التقي الورع، القدوة لكل أغنياء المسلمين، لقد بذل المال هينا رخيصا من اجل إقامة المسجد الجامع ، حيث يرفع من مئذنته العالية أذان الصلوات الخمس .. وداخل أروقته سيتم إلقاء المحاضرات الدينية ، التي توعى المسلمين بأمور دينهم ودنياهم، كما سيتم لأطفال المسلمين وشبابهم تحفيظ القرآن الكريم .. وفي نهاية خطبته رفع صوته مبتهلا إلي الله العلى القدير أن يحفظ باني المسجد من كل شر ، وأن يعوضه خيرا في الدنيا والآخرة .. كان الناس يؤمنون على دعاء وزير الأوقاف بحرارة وإخلاص ...

لم تكن سعادة الشيخ سليمان التي تطاول السنة لهيبها مئذنة مسجده الذي بناه بأموال منظمة الشيطان بسبب هذا المديح والإطراء الذي يصدح به معالي وزير الأوقاف .. بل كان بسبب شعوره القوي في اقترابه السريع من تحقيق حلمه المستكن في داخله منذ سنوات في أن يصبح ذات يوم المسيخ الدجال .. ها هو صار شبه محبوب من معظم أهل القرية تقريبا، وها هو صار قريبا من ذوي السلطة والسلطان .. بعد الصلاة سيتناول طعام الغداء في دار ضيافة القرية مع معالي الوزير والسيد المحافظ .. ستدوم الصداقة بينهما .. عبرها وعبر غيرهم من المسئولين الذين أخذ يوطد علاقاته بهم في الشهور الأخيرة .. بالهدايا التي تلحق الهدايا إليهم شخصيا ، وإلي أفراد أسرهم ، صار محببا إلي كل من اقترب منه .. والمنظمة لم تبخل عليه بأي شئ .. ساعده في ذلك

لسان لافظ وقلب حافظ .. وقدرة هائلة على تقمص شخصية رجل الدين الورع .. كان يجيد التمثيل على الجميع إلا بدرية .. بدرية التي هزمته بصمتها وصدودها .. عام كامل من زواجه واحتوائه لها في بيته ، لم يتمكن من مواجهة عينيها أو تقبيلها .. كان يختلس النظرات إليها في عبورها من أمامه : فتتوهج في احشائه الرغبة في معاشرتها جنسيا كلما ادارت ظهرها إليه .. لكن سرعان ما تتقلص هذه الرغبة كلما استدارت إليه بوجهها الصامت الذابل .. كان يراها شمعة تنصهر يوما بعد يوم .. فزعت مشاعر التملك لديه: عندما تصور أن بدرية قد تستمر في ذبولها هكذا إلي أن تموت .. ستموت دون أن يحصل منها على أي شئ!! .. ستهزمه وتتركه وتموت؟!!

لذلك قرر ذات ليلة أن يأخذ منها ما يريد غصباً .. اقتحم عليها حجرة نومها المنفردة .. تجرد من ثيابه في ثوان .. فجعت بملء عينيها وارتعاشات جسدها .. اسرعت بستر وجهها ببطانية كانت تشدها على بقية جسدها النحيل .. لكنه قرر أن ينتصر عليها وعلى عاطف ابن العمدة ولو لمرة واحدة في عمره .. لقد باع نفسه للشيطان من اجل مثل هذه اللحظة .. لذا لم يشأ أن يهادن أو يتراجع عن كسب هذه المعركة بالذات .. انتزع البطانية بأنفاس حارة تجرد من نظارته السوداء التي كانت لا تفارقه أبدا ؛ حتى لا تبدو بشاعته للناس فيتذكروا ماضيه المشوب بالنجاسة والقذارة .. صارت بدرية وجها لوجه مع بشاعته المجردة .. تحولت إلي جلد باهت وعظام تصطك رعبا .. لم تعد قادرة على النطق بحرف .. لم يأبه لمنظرها الذي يثير العطف والرثاء .. فاحت جميته حتى ملأت كل الحجرة .. انقض عليها مرة واحدة مجردا إياها من ثيابها .. أرادت أن تصرخ .. أن تستغيث . أن تخرج أي شئ من أعماقها .. لم تستطع فأخرجت روحها ونفسها من جسدها ، قبل أن يهم هو بالدخول في هذا الجسد الممدد بلا حراك .. لم يعبأ هو بالروح التي خرجت .. لم يبال بجسدها الميت .. صرخ بجنون .. سأنالك يابدرية .. سأنتصر عليك وعلى عاطف ابن العمدة حتى ولو كنت ميتة ..

اكتشف بمرارة وبعد أن تحرر من كبت شهوته فوق جسد ميت أنه لم ينتصر .. لقد صممت على هزيمته مع أخر نفس

خرج من صدرها .. أراد أن يبكي لهزيمته الدائمة في مواجهتها ومواجهة عاطف ابن العمدة منذ كانوا أطفالا في الكتاب وحتى الآن .. لكنه صرخ في وجه ضعفه الذي أوشك أن يلوح في أفق خياله . وبعناد إجرامي: ((إذا كانت بدرية قد تمكنت من الفرار من بين يدي ، وهربت بروحها بعيدا عن الدنيا ..فإن عاطف ابن العمدة لم يزل حيا .. لم يزل هناك كل أهل القرية .. لم يزل هناك كل أهل الدنيا .. سأهزمهم جميعا .. سأهزم أرواحهم قبل أن تغادر أجسادهم .. سأجعلهم جميعا عبده للشيطان العظيم .. سأكون المسيخ الدجال الحقيقي..)).

وخرجت القرية كلها لتودع بدرية إلى مقبرتها .. كانت الدموع تجري فوق كل الوجنات المرتعشة .. لم يكن هناك من غائب غير عاطف ابن العمدة الذي سافر منذ أيام إلى انجلترا لتكملة دراساته العليا في علم النفس .. كان السؤال الحائر هو العامل المشترك بين كل الرؤوس المنكسة خزنا أثناء الخطى المتمهلة فوق طرق القرية المتربة((كيف ماتت بدرية تفاحة القرية الناضجة ورمز الطهر والعفة فيها؟!!)).

بين فينه وأخرى كانت العيون تصوب بحدة ودقة إلى وجه زوجها الذي كان يتقدم جنازتها في جلال وصمت الصابرين المحتسبين .. شاركه البعض إحساسه بالمصيبة التي عصفت به من حيث لا يدري وهمس إلى جاره ((مسكين الشيخ سليمان النجمي .. المؤمن مصاب .. لقد حرمه الله نعمة كبيرة ليختبر مدى صبره وإيمانه!!)).

أما هو فقد وقف أمام الجميع ، وبعد أن تم دفن المرحومة بدرية .. وخاطب الناس جميعا بإخلاص وصوت باك: ((أنا أعلم أن هذا اختبار من ربي .. لكني سأصبر كما صبر أيوب .. وليس هذا وفقط .. بل أعاهدكم جميعا أنني لن أتزوج بعد المرحومة .. ولن تدخل بيتي امرأة أخرى احتراما لذكرها..)).

مال أحد المعلمين المشاغبين، والذي لم يقتنع بعد بما يقوم به سليمان ابن بهية من لعبة مشبوهة ، مال إلى صديقه الذي يتأبط ذراعه هامسا بحذر: ((يبدو أن الشيخ عفريت اشتاق إلى ركوب الحمير من جديد..)) ضم صديقه شفتيه بسرعة قبل

أن تفترا عن ابتسامة أو حتى عن ضحكة ممكنة.. ولكز صديقه ناهرا إياه ((اخرس الآن!!)).

في الحقيقة لم يكن ما قال به المعلم المشاكس هو السبب الحقيقي وراء تصميم الشيخ سليمان على عدم دخول امرأة أخرى بيته .. بل كان هناك أكثر من دافع خلف هذا القرار، أهمها رغبته في أن يعيش وحيدا في بيته؛ حتى يتمكن من ممارسة كل ما يؤمر به من قبل المنظمة، وخاصة أنهم ألمحوا إليه في اجتماعه الأخير بهم أنه مقبل على مرحلة جديدة تتطلب الاتصال المباشر والسريع، أما الدافع الثاني فهو اعتياده على ممارسة الجنس مع جميلة الجميلات (ليزا) البغية والتي كان لها فضل العثور عليه، وتقديمه للمنظمة بعد أكثر من لقاء بينهما، منذ أن وصل إلي فرنسا في أيامه الأولي وخاصة أنه كان يجيد اللغة الفرنسية .. واكتشف فيها أنها أنسب النساء جميعا له في ممارسة الجنس .. ولذلك كانت له زيارة شهرية على الأقل بحجة متابعة أعماله التجارية في شركته الفرنسية التي هيأتها له المنظمة كتغطية واجبة لنشاطه، وأيضا بحجة إنهاء دراسته للدكتوراه في الشريعة الإسلامية .. لقد تخلص الآن وبعد رحيل بدرية عن الدنيا من نقطة الضعف الوحيدة التي كانت تمثل عقبة ما في طريق الوصول إلي الهدف الأساسي له .. المسيخ الدجال .. ها هو يقترب من قلوب الناس والمسئولين .. ووجدها فرصة مناسبة أن يعلن للجميع في حضور وزير الأوقاف السيد المحافظ عن مسابقة كبيرة لتحفيظ القرآن الكريم .. بهدف تشجيع أطفال المسلمين وشبابهم على التمسك بالدين الإسلامي الحنيف والقرب من الله .. ثم انهمر في إلقاء خطبة مؤثرة استدرت دموع المصلين في مسجده يوم الجمعة يوم الافتتاح .. وطلب أن تتم المسابقة المزعومة تحت رعاية وزير الأوقاف والسيد المحافظ .. وأن يتم هذا خلال شهر من تاريخه ..

وما أن انتهت الصلاة حتى تدفق الناس على الشيخ سليمان النجمي يقبلون يده ويصافحون بحفاوة وإكبار وزير الأوقاف والسيد المحافظ وبقية البطانة من المسئولين .. الجميع كان مبتهجا متهللا .. إلا هذا الرجل الذي تجاوز عمره فجأة بأكثر من ثلاثين سنة ميلادية .. كان يقترب ببطء من الجمع

ممسكاً بيده سكيناً مخبأة تحت ثيابه الفضفاضة .. ظل يزاحم ويزاحم .. حتى وجد نفسه أخيرا في مواجهة الشيخ سليمان وما إن رآه الشيخ سليمان استشف في الحال كل ما يدور في عقله .. تراجع متجنبا اليد التي ارتفعت بالسكين دافعا إليها المحافظ الذي سقط .. عم الهرج المكان كله ليكتشف الناس بدهشة أن أبا المرحومة بدرية قد غرز سكينه في كتف معالي وزير الأوقاف .. ولم تعط مهلة لأبي بدرية للدفاع عن نفسه ولو بالكلام .. فلقد اخترقت رأسه رصاصتان من مسدس أحد حرس المسئولين .. سقط أبو بدرية مضرجا بدمائه .. سمعه البعض ينطق بصوت واهن: ((قتل ابنتي .. وخطف ابني في بلاد الغربة .. دمر حياتي وحياة أسرتي ..الشيطان الرجيم .. سيقتل الجميع وسيخرب كل القرية مثلما خرب بيتي..)).

لم تتطاير كلمات الرمق الأخير، التي لفظ بها الصريع، مع دوامات الهواء العنيفة المنبعثة عن أكثر من عشرين مروحة هواء شرسة مدلاة من سقف الجامع، الذي سالت فوق نسيج سجاده المحكم والدقيق خيوط حيه وناقمة من شرايين وأوردة أبي بدرية .. وإذا كان السجاد قد رفض أن يشرب دماء القتيل في يوم الافتتاح .. إلا أن عقل ووجدان الشيخ سيف الدين عبد الحق شربا تماما كل كلمات التحذير التي ودع أبو بدرية بها دنيا سليمان ابن بهية، .. في الحال تذكر الشيخ سيف الدين ما توجس به ذات يوم لأكثر من خمس وعشرين سنة خلت ((ليرحم الله هذه القرية من شره..آمين)) قالها يومها حينما جنحت به الظنون إلي احتمال أن يكون سليمان ابن بهية هو نفسه المسيخ الدجال .. فكر في كل هذا من جديد، ونما التوجس في أعماقه وهو على بعد متر واحد فقط من الشيخ سليمان النجمي، الذي يصر أن يحترمه ويوقره ويقبل يده اليمني في وجود كل الحاضرين .. فعلها أيضا منذ ساعة تقريبا وفي وجود السيد وزير الأوقاف والسيد المحافظ، رافعا صوته في وجودهم وفي وجوه عدسات تصوير الصحافة والتليفزيون: ((هذا أستاذي الأول وأبي الذي تعلمت على يديه القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وحفظت على يديه كتاب الله العظيم، الذي أعيش ببركاته .. من علمني حرفا صرت له عبدا .. فكيف بمن علمني كل شئ!!)) وعاود الانحناء

فوق يد الشيخ سيف الدين ، ويرن القبلات عامداً متعمداً .. ويزداد إعجاب الضيوف بتربية وأخلاق ابن القرية البار .. إلا أن الشيخ كان يشعر بشفتي ابن بهية وهي تزحف فوق ظهر يده كلسان مشقوق لثعبان سام .. كانت تلسعه لسعات مرعبة فيسحبها من تحت شفتيه بسرعة .. لكن لم يكن لدية أية حيلة أو وسيلة للفرار من مكره وخبثه الذي يستشعره بقلبه ، ولا يستطيع أن يثبته لنفسه وللآخرين بعقله ، فقط كان يشعر أن ابن بهية إنما يستخدمه كإطار عتيق يحيط به نفسه أمام الجميع ؛ حتى يوهمهم بأصالته وأخلاقه وسلوكه الإسلامي الحميد .. لكن كلمات التحذير التي فارق بها أبو بدرية الحياة .. أشعلت في نفس الشيخ سيف الدين الشكوك الخامدة ((ثم إن هذا الدم البشري الطاهر الذي يتدفق في أول يوم يفتتح فيه هذا الجامع الذي بناه اللعين بأموال مشكوك في مصدرها ، ألا تشير بسهم من لهب إلي أن هذا الرجل وتصرفاته تنذر بشر مستطير للقرية وأهلها ؟!.. فليحمنا الله من شر ابن بهية)) .

الفصل الخامس

خمس سنوات كاملة مرت على الشيخ سيف الدين عبد الحق منذ مقتل أبي بدرية ، وهو يراقب حركات وسكنات ابن بهية .. لكن لم يتمكن من الوقوع على أي خطأ أو فعل مريب .. خمس سنوات أطعم فيها الشيخ سليمان النجمي كل الجائعين سواء في القرية أو في القري المجاورة ، أنفق على الأيتام أموالا طائلة تعز على أي ثري ، ساعد كل الأسر في القرية تقريبا ، وفر عقود عمل لمعظم رجال القرية، وسافروا إلي الخارج تاركين نساءهم وأولادهم أمانة عنده، لم يخن الأمانة أبدا، بل صانها وزاد عليها ، فهاهم أبناء القرية وأصدقاؤهم من القرى المجاورة يربيهم تربية إسلامية متشددة – طبقاً لأوامر المنظمة- وتولى أمر متابعة دراستهم في التعليم بجميع مراحله حتى الجامعة .. حفظهم القرآن الكريم .. عودهم على أن يكون صمتهم فكرا ونطقهم ذكرا .. صار بالنسبة لهم جميعا الأب الحقيقي بعد أن استسلم له جميع آبائهم .. رباهم على الجدية والالتزام وحب الجهاد والشهادة في سبيل الله، جعل الله ورسوله أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم بل ومن أنفسهم، ولم تعد الأمهات في حاجة ماسة إلي أزواجهن الذين غابوا عنهن بالسنوات في الخارج، صارت كل حاجتهم إلي الشيخ سليمان النجمي ، كان لا يحجم عن قضاء المصالح والحاجات لأي منهن .. كانت تشكو إليه مما قد تخجل من البوح به إلي أي مخلوق آخر ، ولا حتى زوجها أو أمها أو أختها ، إحداهن شكت إليه شوقها إلي ممارسة الجنس بعد غياب زوجها مدة طويلة، فوعدها بوقار وثقة أنه سيحل لها مشكلتها في أقرب وقت، وبالفعل خلال أسبوع واحد كان زوجها قد حصل على إجازة لمدة شهر، وحضر إليها بناء على برقية عاجلة من فضيلة الشيخ سليمان الذي صار كلامه أمرا ينفذ فوق رقاب الجميع برضائهم، وبولاء العاشق لمعشوقه ..

فلم يعد الزواج يتم في القرية، أو حتى في القرى المجاورة إلا بموافقة الشيخ سليمان .. وموافقته تعني أنه سيساهم بجزء كبير من تكاليف الجهاز والعرس – طبقا للحالة

الاقتصادية للطرفين- كان الزوج يأمن على زوجته في ظل حماية الشيخ سليمان، لقد نسي الجميع ما كان يقال عن سليمان ابن بهية في الماضي .. لم يعد في القرية من يشك في أخلاقه الحميدة .. حتى مدرس مدرسة القرية المشاكس، والذي كان يشك في كل تصرفات الشيخ سليمان ويسخر منها، تم التخلص منه عندما أحضر له الشيخ سليمان عقد عمل بأجر مجز لم يكن يحلم به، وسافر إلي الخليج مقبلا يد الشيخ بإخلاص وأوصاه خيرا بزوجته وأولاده في غيابه .. وصار يشعر بالندم والخجل كلما تذكر أنه كان يشك في توبة الشيخ .. ولذا لم يعد يعصى له أمرا .. حتى عندما فكر أن يصطحب معه زوجته وأولاده للإقامة معه في الغربة حيث يعمل.. رفض الشيخ بشدة بحجة أن اصطحابه لزوجته وأولاده سيترتب عليه مفسدة وأية مفسدة ، ومنها ضياع الأولاد وضياع انتمائهم لوطنهم .. ثم أن الخير العظيم سيفوتهم - هنا يربون تربية إسلامية حسنة - هنالك سيختلطون بأصدقاء السوء .. وأقنعه أنه يمكن ألا يغيب عن زوجته وأولاده أكثر من ثلاثة أشهر: لو هو فكر في أن يأتي لزيارتهم في العطلة الصيفية وعطلة نصف العام ، ومن جهة أخرى سيؤدي به اصطحابه لأولاده إلي محل عمله في الخارج إلي المزيد من النفقات والمصاريف، فما تنفقه الأسرة في الخارج أضعاف أضعاف ما ينفقه الفرد .. لم يكن أمام المعلم -الذي كان مشاكساً- إلاّ الاستسلام والموافقة على كل ما نصحه به الشيخ سليمان النجمي .. ثم إنه لم يجد لديه الدافع القوي لمخالفته الرأي، وهو يري كل أقاربه وأصدقائه من رجال القرية قد ذهبوا للعمل في الخارج ولم يصطحبوا أولادهم، وتركوهم في رعاية الشيخ سليمان وها هم في كليات الطب والهندسة والعلوم .

كانت سعادة الشيخ سليمان النجمي بلا حدود لهذا النجاح الذي حققه .. ليس فقط لأن منظمة الشيطان التي يعمل لها تمنحه تقدير امتياز ، بل لأن إحساسه الداخلي بأنه المسيخ الدجال تورم أكثر وأكثر حتى احتل كل جسده الضئيل .. لقد صار بالنسبة لهم ربهم الذي لا يعصى له أي أمر .. إنه على يقين لو أنه طلب من أي من شباب القرية أن يقتل أباه أو أمه فلن يسأله

عن السبب .. سيقتله في الحال وهو سعيد؛ لأنه ينفذ أمر الله ورسوله في مسلم أو مسلمة خارجة عن شريعة الله .. وهو يثق أيضا انه لو طلب من أية امرأة ان تهجر زوجها وتعاشره هو لما ترددت للحظة .. ولولا ان المنظمة قد القت عليه الأوامر مشددة بعدم ممارسة الجنس مع اية امرأة في بلده ، او حتى النظر إليها نظرة بها شهوة مهما كان جمالها .. لكان قد تمكن من جميع نساء القرية سواء في غياب أزواجهم أو حتى في حضورهم .. لكن أوامر المنظمة دونها موته .. وهو يخاف الموت بقدر شهوته الجنونية لتحقيق حلمه الكبير ، وهو في مقابل هذا يسافر إليهم كل شهر عدة أيام يتخلص فيها من أعباء شهوته الرجولية .. بالرغم من ان المنظمة قد رفضت رأيه في عدم الزواج بعد بدرية .. شددت عليه بضرورة الزواج من أية امرأة وان يعيش حياة طبيعية ؛ حتى لا يشك الناس فيه .. لم يجد أمامه غير امينة القابلة التي ظلت محتفظة بتماسك لحمها دون ترهل، بالرغم من تجاوزها للخمسين من عمرها ، لم يجد أمامه غيرها للتفكير في الزواج منها ، فهي المرأة الوحيدة التي كان يشع منها تجاهه شبقا جنسيا لاهبا كلما نظر في عينيها ؛ أو كلما مالت على ظهر كفه لتقبله كما يفعل الآخرون، فقد كانت تقبله بطريقة مختلفة عن كل النساء .. كان يشعر كأنها تلحس الشعيرات التي تكسو ظهر يده وتسبح بين جذورها .. كان يخشاها .. كان يخشى الفضيحة عندما يلحظ بعض الحضور تحرك حمية الرجولية فيه .. كان يسارع بالجلوس ضاما فخذية فوق بعضهما مشيحا بوجهه بعيدا عنها، ومستغرقا في فكرة تكون بعيدة عنها ، كان يفضل التفكير في بدرية التي احتقرته وهزمته وماتت .. كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي يتمكن فيها من شل حركة حيوانه الضخم وعودته إلي الانكماش، والمحافظة على وقاره مرة اخري .. ثم إن امينة القابلة في هذه السن غير قابلة للإنجاب، فضلا عن انها تزوجت من قبله برجلين فحلين ولم تنجب من أي منهما ، بل ماتا وظلت هي حية .. بالإضافة إلى جهلها التام بالقراءة والكتابة؛ فضلا عن اللغة الفرنسية التي يتعامل بها سواء كتابة أو شفرة للتراسل مع المنظمة بواسطة جهاز صغير يحتفظ به في خزينته بحجرته الخاصة التي لا يدخلها أحد .. ثم إن هذه المرأة بما لها من دلال

على أهل القرية يمكنها تقوية العلاقات أيضاً بينه وبين أهل القرية وخاصة النساء، وعن طريق النساء سيمكنه السيطرة علي كل أهل القرية .. وهو لا ينكر فضل أمينة القابلة منذ أن تزوجها منذ ثلاث سنوات .. وكيف وفرت عليه الوقت واختصرت المسافات الزمنية بينه وبين الجميع.

وكم كانت فكرة المنظمة في هذا الأمر فكرة موفقة جداً ورائعة ، لم يدركها الشيخ سليمان إلا بعد أن حقق هذا التقدم الفائق الذي لم يكن يتوقعه هو نفسه ، وخاصة أن رجال القرية اسلموا له القياد لأنه: ((رجل متزوج .. عينه ممتلئة .. لا يمكن أن ينظر إلي نسائنا .. ليس فقط لورعه وخوفه من الله.. ولكن لأن زوجته السيدة أمينة القابلة بجسدها الضخم الفواح بهمسات الصبا بالرغم من تقدمها في السن يحتاج إلي عشرة رجال في حجم الشيخ سليمان .. فما الذي يجعله ينظر إلي نسائنا؟!!)).

وعلى الجانب السلطوى كان الشيخ سليمان قد حقق ما يشبه المعجزة بالفعل .. فلقد صار الصديق الشخصي لكل محافظ يتولى السلطة فيها ، زيادة عن علاقاته التي توطدت بأكثر من وزير عبر صديقه الحبيب وزير الأوقاف والشئون الإسلامية .. كانت الأوامر قد صدرت له من المنظمة بضرورة تقوية علاقاته برجال الأمن سواء في المحافظة أو على مستوى الوزارة نفسها .. كانت الأوامر محددة ((الصداقة وفقط.. الصداقة وفقط.. الكلام المعتدل في الدين والسياسة..)).

كانت القرية في كل يوم جمعة تعيش مهرجاناً يختلط فيه الأهل بالزائرين من رجال لسلطة وغيرهم ، وموائد الغداء الفاخرة التي تمتد في دار الضيافة والماشية التي تذبح .. والخراف الحية التي تسبق المسئولين إلي بيوتهم ومساكنهم .. في غمار كل هذا نسي أهل القرية بدرية ، وكلام أبي بدرية ونسوا عاطف ابن العمدة الذي انقطعت أخباره تقريبا منذ أن ذهب إلي لندن للحصول علي الدكتوراه منذ سنوات .. لم يعد أحد من أهل القرية يتذكر أن أبا بدرية قد أصيب بلوثة عقلية في أيامه الأخيرة، وخاصة بعد وفاة ابنته بدرية، وانقطاع أخبار ولده جلال الذي سافر إلي الخارج قبل أن يتزوج الشيخ سليمان أخته بدرية .. هذه اللوثة العقلية هي التي دفعته إلي التهجم على موكب وزير

الأوقاف يبغي قتله دونما سبب واضح .. ويردد البعض: ((الجنون يهيئ للإنسان أشياء غير حقيقية .. ربما ظن أن وزير الأوقاف هو السبب في موت ابنته بدرية ، وغياب ابنه كل هذه السنوات في الخارج دونما أية رسائل!!)).

ثم إنهم لم يعد لديهم الكثير من الوقت ليضيعوه في مثل هذه التفاهات، بدرية وجنون أبيها، وقصة حبها لعاطف ابن العمدة .. لقد فتح لهم الشيخ سليمان باب الجنة ..زادت الأموال بين أيديهم .. صارت الحياة في القرية متألقة .. حتى الشيخ سيف الدين عبد الحق الذي شرع يعتمد على العصي لمواصلة سيره إلي الجامع لأداء فريضة الصلاة جماعة في وقتها، نسى هو الآخر الكلمات التي سمعها من أبي بدرية قبيل موته .. خمن هو أيضا بأنها كانت كلمات غير مقصودة .. كانت مجرد تخاريف الموت .. وتحيز أيضا إلي جانب ابنه وتلميذه الشيخ سليمان الذي كان ضالا، ثم هداه الله ، وصار من أتقى الأتقياء..((فليكثر الله من أمثاله..امين)) وردد لنفسه بفرح ما شاع بين أهل القرية في الأيام الأخيرة من أن الشيخ سليمان ينوى أن يدعو السيد رئيس الجمهورية لزيارة القرية والصلاة في جامعها الضخم، وتناول طعام الغداء مع أهل القرية ، ولم يكن لدى الشيخ سيف الدين أي شك في أن ابنه سليمان سيقبل يده في حضور رئيس الجمهورية، كما فعل من قبل في حضور وزير الأوقاف والشئون الإسلامية .. سيقدمه له بأنه أستاذه الذي علمه وحفظه القرآن الكريم .. وربما فكر السيد رئيس الجمهورية هو أيضا في تقبيل يده اعتزازا بهذا الإنسان المخلص الذي قدم إلي الوطن أمثال الشيخ سليمان .. سيحضر التليفزيون بالتأكيد والصحافة و ووو .

توقف الشيخ سيف الدين عن استرساله في أحلامه التي كانت تصاحبه ، بينما كان يتقدم ببطء ناحية الجامع قبيل صلاة الفجر بوقت كاف .. جمد في مكانه عندما رأى شبحا يتقدم منه حاملا في يده صفيحة كبيرة يبدو أنها ممتلئة بشيء ثقيل .. حالما اقترب منه تماما، وضع الصفيحة على الأرض ، وأخرج حبلا كان يلفه حول وسطه، وأسرع في تكميم فم الشيخ سيف الدين ، وفي لحظات تمكن من قيده وتحريكه بجانب أحد أبواب المسجد الخشبية .. لم يصدق الشيخ سيف الدين أذنيه وعينيه ، وهو يرى

تلميذه سليمان ابن بهية يفعل معه هذا .. كان يقول له وقد ملأت رائحة البنزين المكان بعد فتح الصفيحة وشرع يسكبها على الشيخ والباب الخشبي: ((سامحني يا سيدنا .. لقد سقيتني المر أياما طويلة .. وكنت أدخرك لهذا الوقت)).

في التو .. اشعل فيه عود ثقاب ، وهرب دون أن يستمع إلى كلمات سيدنا المكتومة التي عاد وأكد لنفسه ظنه القديم في سليمان ابن بهية، وأنه مطية الشيطان ، وأنه المسيخ الدجال.

أتت النار عليه، وعلى الباب الخشبي للجامع قبل أن ينتبه أهل القرية الذين بدؤوا في التوافد إلى المسجد لصلاة الفجر.

ومات الشيخ سيف الدين عبد الحق قبل أن يتمكن من تحذير أهل القرية من سليمان ابن بهية، كما فعل أبو بدرية قبل أن يلقى ربه بلحظات.

الفصل السادس

لم يكن المر أو الذل الذي سقاه الشيخ سيف الدين عبد الحق هو السبب الحقيقي وراء إقدام الشيخ سليمان النجمي على حرقه والتخلص منه .. بل كان هذا تنفيذا للأمر الجديد الذي تلقاه منذ يومين ((اشعل فتنة طائفية بين المسلمين والمسيحيين)) يا لها من سعادة ! تلك التي طافت بكل حنايا جسده ؛ عندما تلقى هذا الأمر .. فلقد اخذ يضيق منذ شهور بهذا الخير المتواصل لأهل القرية. ضاق أيضا بالتمثيل المطلق لدور الخير التقي .. حتى أوشك أن يصدق نفسه .. أكثر من ست سنوات يعطى وينعم ويدخل البهجة والسعادة على من يستحق ومن لا يستحق ، وهو في الواقع لا يري أحدا منهم يستحق أي خير .. ابتداء من بدرية وعاطف ابن العمدة ، وحتى هذا الكلب الذي سكب عليه البنزين وحرقه .. ولم يحتفظ بضيقه داخل صدره .. بل عبر عنه ساخطا على(مستر فوكس ومستر وولف) في اجتماعه الأخير بهما منذ شهر تقريبا .. صرخ فيهم متوجسا: ((أخشى ان تكونا قد خدعتماني ، وجندتماني لحساب الله وليس لحساب الشيطان!! .. وإلا لماذا هذا الخير المتواصل والمنهمر كأمطار المناطق الاستوائية على الملاعين من أهل القرية التي ولدت فيها ونشأت فيها على الذل والحرمان؟!! .. لقد وصلت إلي مرتبه عظيمة من السيطرة على أهلها لدرجة انني لو امرت احدهم بقتل ابيه أو امه لفعل دون نقاش .. وأنا تواق لهذا .. لم أعد قادرا على مواصلة هذه الأعمال الطيبة....)).

كان على درجة كبيرة من الانفعال، والغريب أن أياً من (مستر فوكس او مستر وولف) لم يفكرا مطلقا في مقاطعته .. تركاه يتدفق بالسخط العارم .. كانا يرهفان إليه السمع بإشراقة مترددة كذبذبات لمبة (نيون) محترقة .. إلي أن توقف .. فرد عليه (مستر وولف) بصوت ممسوخ كأنه يصدر عن أسطوانة عتيقة ((كل ما سمعناه منك يؤكد لنا مدى ولائك للشيطان العظيم .. ويتفق تماما مع التقارير التي تصلنا عنك اولا بأول .. نعلم أنك تنفذ كل ما تطلبه منك بإخلاص وتفان .. ونعلم أنك

تؤدي دورك بشكل مقنع تماماً لدرجة نشك معها أنك لا تعمل لحساب الشيطان العظيم وحده .. تكونت لدينا قناعة كاملة أنك تعمل لحساب نفسك أولا .. لكن إياك ان يدفعك هذا الحماس لتحقيق رغباتك الذاتية، أن تتصرف من تلقاء نفسك .. والخطأ لدينا —كما تعلم— عقابه القتل..)).

قبل أن يتوقف (مستر وولف) عن الكلام بملامح وجهه الذئبقية غير المستقرة كان (مستر فوكس) قد تقدم من الشيخ سليمان عدة خطوات..لكنه لم يقترب منه تماما .. فقد أحس الشيخ سليمان نفسه بحرارة شديدة تملأ الحجرة ، وأصيب بجفاف في الحلق على أثر نزف جسده للكثير من العرق فجأة .. ولم يتخلص من كل هذا إلا بعد أن أمر (مستر وولف) زميلة (مستر فوكس) بالتراجع لخطوات بعيدا عن سليمان؛ لأنه ما زال يتكون من لحوم البشر ، ولا يتحمل الاقتراب منه .. وما أن التقط سليمان أنفاسه بعد ان خفت كميات الحرارة التي خنقته منذ لحظات، حتى سمع صوت (مستر فوكس) مغلفا بالغبار كأنه يفد إلي مسامعه من خلف جدار طيني سميك ((ما كان لنا أن نامرك بالشر إلا بعد أن نتأكد من قدرتك على عمل الخير.. وما كان لنا أن نأمرك بالحرب إلا بعد ان نتأكد من قدرتك على نشر السلام .. وما كان لنا ان نأمرك بالدمار إلا بعد أن نتأكد من قدرتك على الإعمار .. وها انت ذا قد أثبت لنا وللشيطان العظيم نفسه أنك من أفضل أبناء آدم الطيني الحقير ولاء وإخلاصا للشيطان العظيم.. وحسبنا هذا لكي نبدأ معك الطور الثاني مع خطتنا..)) .

رفع (المستر وولف) كفه التي تشبه حافر الحمار في وجه زميله (مستر فوكس) موقفا له عن الكلام والاسترسال..توقف (مستر فوكس) تماما.. وحملق (المستر وولف) لفترة طويلة بعيون زجاجية لامعه متعددة عاكسا الكثير من الأضواء في العين الواحدة التي يملكها الشيخ سليمان ، بعد ان أمراه بخلع نظارته السوداء منذ بداية اللقاء .. بدا كأنه ينوي تنويمه مغناطيسيا .. همس إليه بصوت أجش رنان ، كأنه يهمس داخل وعاء ضخم من النحاس ((أنت تعلم أن بلدكم تسبح الآن في

السلام الاجتماعي .. تعلم أيضا أن المد الإسلامي فيها أخذ يتزايد ويتفاقم أمره منذ سنوات .. بدأ الناس يقتربون من ربهم .. كلما حل بهم خير يردونه إلي قربهم من الله ؛ وإلي تمسكهم بالإسلام .. كما وقع في انتصارهم على أعدائهم في الحرب الأخيرة..وكما حصل في مواسم الأمطار الغزيرة وزيادة الخيرات.. هذا أيضا ساعد على تمسك الكثير بدين محمد .. هذا كله أزعج الشيطان العظيم أيما إزعاج.. حاولنا تجنيد بعض الملحدين الرافضين لأديان الله .. لكن النتيجة لم تكن حاسمة ومرضية .. حيث أن رئيس البلد كان يكرههم ويحب المسلمين فجردهم من قدراتهم على التأثير في الآخرين .. فهرب معظمهم وبقي أتباع إبراهيم في حالة من التألق .. وكما تعلم من القرآن -الذي تحفظه- أن الشيطان العظيم قد أخذ على نفسه عهدا قويا أمام رب العالمين، بأنه سيعمل جاهدا قدر طاقته -وما أعظم هذه الطاقة- على إضلال جميع أبناء آدم.. لكن رجوع أبناء آدم إلي ديانات السماء وخاصة الإسلام هو نوع من الهزيمة القاتلة للشيطان العظيم .. لذا قررنا أن يكون الهجوم على الإسلام من داخله..)).

تدخل (مستر فوكس) معقباً ((لذا لم يكن اختيارنا لك اعتباطاً أو بالصدفة..ففضلا عن أنك شيخ من شيوخ المسلمين الذين درسوا العلم الإسلامي في الأزهر، عرفنا أيضا أنك تجيد الكلام والإقناع.. وعرفنا أيضا أنك لست متمسكا بالإسلام في أي من أوامره أو نواهيه .. رأيناك تزني وتشرب الخمر وتكذب وتنكح الحمير.. رأيناك تحاول اغتصاب أمك قبل أن تموت.. لذا وقع عليك اختيارنا .. لم يكن ذهابك إلي فرنسا بقرار منك أنت بل كان بإيحاء منا نحن .. وكان أهم ما عزز اختيارنا لك هو هذا التماس بين قريتكم وبين قرية النصارى .. بالإضافة إلي وقوع قريتكم في جنوب البلاد بما ينطوي عليه من عادات وتقاليد عريقة وموروثة، ولا يمكن التخلي عنها بسهوله، سواء بالنسبة للمسلمين أو النصارى .. الأخذ بالثأر .. وستعلم كل شئ في وقته المناسب .. نعتقد الآن انك استطعت أن تكون صورة في ذهنك المتقد عما نعدك له في بلدك ولك أن تتراجع من الآن.. لكن تراجعك معناه قتلك في الحال.. ولا تسأل كيف..)).

في كلمات مقتضبة أوضح الشيخ سليمان بحزم وحماس ((منذ ان أخذتم من دمي ووقعت على العقد، كنت أعلم انني أوقع عقدا أبديا مع الشيطان العظيم.. ولو كنت أشعر بأدنى ولاء او عرفان للإسلام أو لرب المسلمين لما وقعت على ذلك العقد، ولفضلت الموت من اللحظة الأولى)).

قال (المستر وولف) وهو ينهض منهيا الاجتماع ((تحياتي لك.. جهز نفسك لتلقى الأوامر وتنفيذها)).

ومنذ أن عاد الشيخ سليمان، وهو يخمن بفرح وشوق لنوع المهمة التي سيكلف بها، راح يتكهن بينه وبين نفسه أن تكون المهمة هي قتل أحد المسئولين الكبار وإلصاق التهمة بأحد الإسلاميين؛ حتى يتعمق الحقد وتزداد الكراهية من قبل المجتمع و السلطات تجاه الإسلاميين .. لذا بدا ينشط في نفوس تلاميذه ميكروب الكراهية للنظام الحاكم الذي يتظاهر بالإسلام فقط، بينما في الحقيقة لا يحكم البلاد بالشريعة الإسلامية وذكرهم الآيات الكريمة التي تدعم رأيه ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)).

في نفس الوقت الذي أشاع فيه أنه ينوى أن يدعو رئيس الدولة لزيارة القرية، وعندما سأله بعض تلاميذه وأنصاره عن حقيقة هذه الإشاعة ادعى أنه ينوى إحضاره لكي يوجه إليه النصيحة بضرورة الرجوع إلي حكم الله، وأن يحكم بشرع الله وبالقرآن والسنة، ويكون ذلك في حضور الجميع، فإذا استمع واستجاب للنصيحة المخلصة كنا معه، وكنا أنصاره مع بقية المسلمين.. أما إذا أبى واستكبر ولم يستجب للنصيحة، عندئذ وجب علينا كمسلمين غيورين على محارم الله ان نطبق عليه شرع الله .. وليس له من علاج غير القتل لأنه سيكون خارجا عن إجماع المسلمين، ويطبق عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من شق عصا الطاعة وخرج عن الجماعة حل قتله)).

لكن الأمر الذي كلفته به المنظمة كان مخالفاً تماماً لكل توقعاته.. لذلك اضطر أن يعتكف في بيته لمدة يوم واحد فقط لم يخرج فيه إلي صلاة الجماعة في الجامع مدعيا توعك صحته .. وبالرغم من الزيارات الكثيرة التي قام بها أهل القرية لعيادته في مرضه، إلا انه كان منصرفا عن وجودهم تماما بالتخطيط

المحكم لضربة رائعة، تجعل أهل قريته يندفعون دون تفكير إلى قرية النصارى المجاورة لحرقها.

ومضت الفكرة في ذهنه فجأة كبرق من نار جهنم، عندما وقعت عيناه على سيدنا الشيخ سيف الدين، الذي كان واحدا من بين أعداد غفيرة زارته بعد آذان العشاء بالأمس.. رأى فيه رمزا مجسما لإمام المسلمين في هذه القرية .. رأى فيه أيضا ضعفا جسديا خلفته فيه التهام ثمانين سنة ميلادية لهذا الجسد الذي كان قويا عندما كان يعلمه ويحفظه قرآن المسلمين .. ابتسم له الشيخ سيف الدين عبد الحق عندما كان تلميذه سليمان يطيل النظر إليه، ويحملق من خلف نظارته.. قال له كأنه يبتهل إلى الله

((إن شاء الله سيشفيك ربك .. وإنما هذا اختبار للمؤمن .. وأنت ولي من أولياء الله الصالحين .. وكما يقول رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام: ((عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)).

فأمن جميع الحضور على دعاء الشيخ له بالشفاء .. في الوقت نفسه الذي كان سليمان قد انتهى تماما من وضع الخطة .. بل وقرر أن ينفذها بنفسه دون اعتماد على أحد، قبيل فجر اليوم التالي .. وخاصة أنه يعرف أن الشيخ سيف الدين عبد الحق معتاد على الذهاب إلى الجامع قبل آذان الفجر وقبل الجميع بوقت كاف .. والأمر لن يكلفه الشيئ الكثير لإضرام سعير الفتنة الطائفية بين المسلمين والمسيحيين في منطقته أولا .. بعد ذلك من السهل أن تمتد إلى آخر البلاد بواسطة الشائعات المبنية على خبر واحد صحيح .. فقط عليه أن يصنع هذا الخبر الصحيح .. شيخ طاعن في السن لن يتمكن من الدفاع عن نفسه أو المقاومة .. صفيحة بنزين تسكب عليه وعلى باب الجامع ليحترقا معا وزيادة في الإشارة بأصابع الاتهام إلى قرية النصارى المجاورة، لا بأس من رسم أكثر من صليب على جدار الجامع .. أما هو فلن يظهر في الواقعة .. إنه مريض.. ويعرف الجميع أنه مريض .. ولن يتمكن من الذهاب إلى صلاة الفجر.. وبالتالي لن يعرف ما وقع للشيخ سيف الدين عبد الحق إلا بواسطة السماع من الآخرين.. لذا رفع الشيخ

سليمان صوتاً متهدجاً كأنه مريض بالفعل ، وهو يشير إلي الشيخ سيف الدين ليقترب منه .. اقترب الشيخ سيف الدين فنهض الشيخ سليمان بصعوبة من رقدته، وأخذ يقبل يدي ورأس سيده الذي حفظه القرآن رافعاً صوته بإخلاص ((إذا انتقلت إلي جوار ربي .. أوصيكم بهذا الرجل خيرا .. إنه رمز التقوى والصلاح والإسلام في هذه القرية الصالحة .. من سره أن أذكره عند ربي فليحب هذا الشيخ الطيب حبي له)) انفعل الناس بما قال به الشيخ سليمان وتفاقم حبهم له ، وارتفعت الأصوات بالدعاء له من جديد. بالصحة وطول العمر .. ولم يتمالك الشيخ سيف الدين نفسه ففرت دمعات صادقة من عينيه منحدرة فوق لحيته البيضاء ، وهتف بتأثر ((إن شاء الله ستشفى ، وبإذن الله ستصلي معنا فجر الصباح القادم .. وستدعو السيد رئيس الجمهورية إلي قريتنا ، وترفع رؤوسنا جميعا .. آمين يا رب العالمين)).

وواصل كل الحضور تأمينهم على دعوات الشيخ سيف الدين عبد الحق .

دون أن يرجع شباب القرية إلى رأي الشيخ سليمان، وبمجرد أن وقعت عيونهم الدهشة المذعورة على جثة الشيخ سيف الدين عبدالحق نصف متفحمة والباب الخشبي الكبير ما زال يحترق ويطقطق خشبه، وأكثر من صليب رسم بالأسود على الجدار الخارجي للجامع في نفس المكان الذي أضاءت فيه نيران الجريمة النكراء الكمية الباقية من ظلمات الليل قبل انبلاج فجر يوم حزين.. صرخ أحدهم بلوعة وسخط: ((فعلها أبناء الصليب.. قتلوا شيخنا.. أحرقوا جامعنا.. ما استحق أي منا صفة الرجولة إن لم نرد لهم الصاع صاعين.. هيا إلى قرية النصارى الملاعين..)).

لم يستطع أحد أن يتوقف عن الركب الغاضب، أو حتى يفكر في تهدئة الآخرين.. فالشواهد كلها تؤكد أن الجريمة صنعها المسيحيون المجاورون لهم.. فسرها البعض بأنه الحقد على المسلمين والإسلام، لذا استحالت قرية النصارى خلال دقائق إلى مجموعات من الحرائق المتوالية المتناثرة.. لكن الحنق المدمر الذي استبد بهم جميعا دفعهم ناحية الكنيسة الصغيرة، انقضوا عليها بغل وانتقام ثاري معملين فيها كل ما يشفي ثورتهم العمياء من تحطيم وحرق وقتل من وجد بداخلها على قيد الحياة.

على بعد كيلو مترات قليلة كان الشيخ سليمان بعينه الواحدة يتابع النيران المتأججة في قرية النصارى من خلال نافذة حجرته التي أغلق بابها عليه بإحكام؛ حتى لا تقتحم عليه زوجته أمينة خلوته، وهو يمارس طقوسه الشيطانية.. توقع أن يكون الشيطان العظيم موجودا هناك، وسط النيران المضطرمة وصرخات الوعيد والتهديد وصرخات الاستغاثة وطلب النجدة والرحمة.. انفجر الشيخ سليمان بضحكة اشتهاه منذ سنوات وسنوات تذكر اليوم الذي قتل فيه العجوزة السعيدة وصغارها الجوعى.. سيطر على مشاعره إحساس عام بالرضى والارتياح والفخر في آن واحد.. الآن فقط بدأ يحصد الخير الذي قذف به في وجوه البلهاء.. سيذيقهم المرارة التي تجرعها طوال حياته.. لن يهزم أمام أحد.. لن يسمح لأحد بهزيمته بعدما فعلت بدرية ذلك

.. وجد نفسه بتلقائية - دون أن يعلمه أحد - يركع تجاه السنة النيران التي واصلت معانقتها لسماء قرية النصارى ناويا الصلاة للشيطان العظيم.. سجد على أرض الحجرة .. شعر بحرارة عظيمة تحف به، أدرك بحاسته أنه الآن في حضرة الشيطان العظيم .. شعر بأنه يبارك له ما قام به .. ويعده بالوقوف معه وحمايته ونصرته في مواجهة أتباع رب العالمين .. أوحى إليه أن ينهض الآن لينام في سريره ، ويواصل تصنعه للمرض ؛ لأن هناك من يوشك أن يدق عليه الباب الخارجي ليخبره بكل ما وقع .

في التو نهض سليمان من سجوده الشيطاني .. ألقى بجسده في فراشه بعد أن أسدل الستارة على النافذة .. ما هي إلا لحظات حتى اجتاح بابه الخارجي عاصفة من الدق والضغط على جرس الباب الكهربائي، مما جعل زوجته أمينة تنهض من نومها في الغرفة الملاصقة له فزعة مروعة .. ترددت .. أتوقظ الشيخ سليمان أولا ، أم تسرع إلى فتح الباب؟!!

لم تكن هناك فرصة كافية لكي توازن بين الأفضل .. فلقد كانت الطرقات تنهمر على الباب كما لو كانت السماء تمطر فوق رأسها العارية حجارة وزلطا .. أسرعت إلى الباب .. فتحته .. تدفق منه أكثر من شاب من أبناء القرية سائلين عن مولاهم الشيخ سليمان؛ لأن مصيبة عظيمة قد سقطت فوق رؤوس الإسلام والمسلمين ..

واصل الشباب سرد بقية الحادثة على أسماع الحاجة أمينة بأنفاس مضطربة لاهثة ، بينما كانت عيونهم متجهة بكل قوة إلى الحجرة التي يرقد فيها الشيخ سليمان.. كانوا ما بين إحجام عن إيقاظه وهم يعلمون أنه مريض ، وبين أن يوقظوه ، ويخبروه بما وقع حتى يتخذ اللازم ، ويتصل بأصدقائه من كبار المسئولين؛ لمحاكمة النصارى على ما فعلوه بالشيخ سيف الدين عبد الحق من قتل شنيع، وما أشعلوه من نيران في الجامع.. بين التردد والمقارنة للسلوك الأكثر صوابا، تقدم شاب كان يرى في نفسه أنه أكثر حظوة في نفس الشيخ سليمان من غيره .. طفق يطرق الباب طرقات خفيفة أول الأمر؛ حتى لا يفزعه من نومه المريض.. وما أن طالت لحظات الانتظار حتى توجس الجميع

واولهم الحاجة أمينة — خيفة من ان يكون مكروه قد ألم بشيخهم، الذي تركوه بالأمس مريضا ، ونطق بكلمات مخيفة عن موته واحتمال موته، وتوصيته لأهل القرية بالاهتمام والإحسان للشيخ سيف الدين إن هو قابل وجه ربه .. حاولت أمينة أن تدفع باب حجرة الشيخ سليمان فلم تستطع ، مما دفع بأحد الشباب إلي أن يندفع بكل عزمه وقوته كالثور في اتجاه الباب الموصد ليفتحه .. وإذ بهم يروا شيخهم ساجدا علي الأرض تجاه القبلة ، وقد طال سجوده وسمعوا له نشيجا مكتوما .. وكانوا على وشك أن يرفعوه من سجوده هذا، لولا أنه نهض مكملا صلاته؛ فصبروا حتى التفت مسلما عن يمينه وعن شماله.. وقبل ان ينطق أي منهم بكلمة أو حتى حرف .. فقط كانت أنفاسهم الحارة الغاضبة تزلزل أركان الحجرة استدار إليهم باكيا ، وهمس في لوعة وسخط عميق ((هل فعلها النصارى الملاعين؟!!)).

استبد بكل الحضور صمت وذهول ، ولم تنطق إلا زوجته الحاجة أمينة: ((كيف عرفت يا مولانا وأنت لم تغادر حجرتك منذ يوم كامل.. والحادثة لم تقع إلا منذ وقت محدود؟!!)).

اجابهم وهو يكفكف دمعه بصوت متهدج: ((لقد أراني الله رب العالمين كل ما وقع في الرؤيا.. رحمة الله عليك يا شيخي العظيم.. لقد رأيته يتبختر في الجنة مع الأنبياء والشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا..)).

لم يتمالك أنصاره من الشباب أنفسهم ، وقد احتوتهم جميعاً حالة من الخدر والاستسلام الكامل للقوة الروحية التي وصل إليها سيدهم ومولاهم الشيخ سليمان .. صاحوا جميعا في بهجة وتأثر أنساهم للحظات الهدف الذي أقبلوا من أجله: ((نشهد يا مولنا أنك ولى من أولياء الله الصالحين..)).

ونهض كل منهم يقبل يديه ورأسه مهتاجاً متلمساً بركاته ورضاه .. بينما كان الشيخ سليمان يتملص منهم برفق وتواضع: ((استغفر الله العظيم.. استغفر الله العظيم.. ما أنا إلا عبد من عباد الله الصالحين..وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء)).

صعقه أحدهم بسؤال مباشر وحاد لم يحسب له أي حساب: ((إذن يا مولانا لقد رأيت المجرم السفاح الأثيم الذي سكب البنزين على الشيخ سيف وباب الجامع فأحرقهما؟!!)).

للحظات توقف الشيخ سليمان عن الإيتاء بأي رد، غير أنه شرع يهز جسده إلي الأمام وإلي الخلف هزات منتظمة رافعا صوته بذكر الله وبالدعاء بالرحمة للراحل الشهيد الشيخ سيف الدين عبد الحق .. وظل هكذا لم يشأ الرد عن السؤال.. ففهم الجميع أن شيخهم لا يحب أن يكشف عن شخصية الجاني.. ربما أفضى به إلي الشرطة.. أو ربما خاف على الجاني من انتقام شباب القرية.. بعد لحظات رفع رأسه محذرا: ((إياكم ان تكونوا قد تصرفتم تصرفا غير سليم؟!! .. الشرطة والعدالة هي التي ترد لنا حقوقنا نحن المسلمين)).

لم يطق الشباب صبراً .. تدفقت كلماتهم المتوهجة بالغيظ الأعمى عما وقع منهم في قرية النصارى ، وكيف انهم لقنوهم درسا انتقاما لما وقع منهم ؛ وحتى لا يكررونها مرة أخرى .

بانت على ملامح الشيخ سليمان إمارات عدم الرضا عن هذا التصرف ، وقال آسفا: ((ما كان لكم ان تفعلوا مثل هذا.. كان علينا اللجوء إلي الشرطة والقضاء للقبض على الجاني ومحاكمته)).

رد عليه أحد الشباب ثائراً: ((يا مولانا..إن سوء الظن من حسن الفطن.. انا الآن فقط متأكد من ان المقصود بهذا الحرق بالبنزين لم يكن الشيخ سيف الدين .. بل فضيلتك .. كانوا يقصدونك أنت يامولانا.. لكن الله -سبحانه وتعالي- أراد أن ينجيك من مكرهم وكيدهم؛ فأرسل إليك هذا المرض حتى لا تخرج إلي الجامع في هذا الفجر.. إن حصدهم عليك وعلى خيرك الذي تبذله للإسلام والمسلمين شئ عظيم جدا لدرجة أثار حقدهم الدفين عليك وعلينا .. وخططوا للتخلص منك ليوقعوا أكبر مصيبة بالإسلام والمسلمين...)).

لم يرد عليه الشيخ ولم يعلق.. لكنه بعد لحظات صمت نطق بالآية الكريمة: ((بسم الله الرحمن الرحيم الذين إذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)) ثم نظر إلي زوجته،

وطلب منها إحضار التليفون لمخاطبة السيد وزير الداخلية شخصيا.. قبل أن يتفاقم الأمر، وتحدث فتنه طائفية بين المسلمين وجيرانهم النصارى، الذين يعيشون معنا منذ مئات السنين في محبة وسلام، يأتي اليوم أحد المدسوسين عليهم لكي يوقد نار الفتنة، ويفجر بركانا يأتي على الأخضر واليابس، ويحيل حياة الجميع إلي شقاء وتعاسة ورعب.. الله اسمه السلام ويحب السلام.. لن نسمح لأي مجرم بأن يشعل فتيل الفتنة، وكما قال الرسول الكريم: ((الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها)).. وواصل كلامه الهادئ الحزين، وهو يبحث عن الرقم المباشر للسيد وزير الداخلية .. وما إن صافح صوته عبر الهاتف، حتى سبقه نحيبه مخبرا إياه عما وقع من جانب المسيحيين للمسلمين ، وكيف كان رد الفعل الآني المتسرع من جانب بعض شباب المسلمين الذين أخذتهم الغيرة على دينهم وعلى شيخهم القتيل .. واستغاث بوزارة الداخلية أن تتدخل فورا قبل أن يفلت الأمر من أيدي الجميع ..

خلال ساعة واحدة تدفقت سيارات الشرطة الكبيرة المحملة بالجنود المدربين على مكافحة الشغب، وكذا السيارات الصغيرة التي تتقدم بالضباط.. انتشرت الشرطة بين حواري وطرقات كل من القريتين.. وعزلت قوات أخرى بين القريتين.. بينما واصلت قوات المطافئ إخماد النيران المتبقية التي طالت بيوت قرية النصارى.. أما سيارات الإسعاف فقد نقلت إلي المستشفي المركزي أكثر من عشرين جريحا وعشرة قتلى بمن فيهم جثمان الشيخ سيف الدين عبد الحق .

كان الذهول ظلا لكل مخلوقات المنطقة وموجوداتها . لا أحد يصدق ما وقع.. ولا أحد من القريتين لديه تفسير معقول لما حدث .. بالأمس فقط كانت العلاقة بين القريتين علاقة جيران طيبة.. كان الجميع لا يشعرون بأي فرق بينهم .. فقط كل واحد منهم يعبد ربه بطريقته التي رسمها له دينه .. لكن الصداقة والتعاون بين سكان القريتين قائمة على الحب والاحترام .. بعض المسلمين كان يفضل صداقة النصراني عن صداقة المسلم .. كان يبرهن على صحة مسلكه - لمن يحتج عليه - بقوله تعالي: ((ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون)) كان معظمهم

يميل إلى شراء حاجاته من دكاكين النصارى؛ لما لمس فيهم من صدق في المعاملة، وابتسامة في الوجه، وكلمة طيبة، وعدم الغش في الميزان أو في جودة البضاعة، وإذا مالامه البعض من المسلمين على ذلك وخاصة أصحاب الدكاكين من المسلمين الحانقين على تلك التصرفات التي قد تزيد النصارى غنى وتزيد المسلمين فقرا. كانوا يردون عليهم بسخط: ((لأنكم مسلمون بالاسم وشهادة الميلاد فقط.. لم يلتزم أي منكم بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه من الصدق في البيع والشراء.. يأمركم الإسلام بعدم الغش في الكيل والميزان وانتم تغشون.. يأمركم بالابتسامة في وجه الآخرين وأنتم تكشرون.. وفي النهاية نحن المشترين نخسر، وأنتم تكسبون المال الحرام الذي لا بركة فيه.. بينما النصارى لا يفعلون معنا هذا.. ثم بعد ذلك تلام إذا اشترينا منهم.. لن نشترى إلا منهم طالما هم كذلك.. ولن نشترى منكم طالما انتم كذلك)).

لكن هذا السعير المفاجئ الذي شب بين القريتين الجارتين، ودون سابق إنذار، أو مقدمات عداوة، أو حتى ثار قديم، كان شيئا محيرا، ومربكا.. وكان أول الحائرين الدهشين هو الشيخ سليمان نفسه .. ابدى دهشته واضحة مصحوبة بضرب كف فوق كف بين لحظة واخرى، وبالاستغاثة بعفو الله في حضرة رجال الأمن وسيادة المحافظ الذي حضر شخصيا.. ولم يشعر الشيخ سليمان بغضاضة، أو بحرج عندما ألقى باللائمة على شباب قريته؛ لأنهم تصرفوا بحماقة، وفكروا في القصاص بأنفسهم، مما نتج عنه المفاسد الكبيرة للعباد والبلاد.. بل اشار على المسئولين عن الأمن بضرورة القبض عليهم، وتأديبهم، وتقديمهم إلى المحاكمة العادلة حتى يكونوا عبرة وعظة لكل من تسول له نفسه أن يرتكب مثل هذه الحماقات القاتلة.. وألقى باللائمة على ظروف مرضه التي حرمته من الظهور بين أهل قريته في الوقت المناسب.. كان سيكبح بقوة وبما له من مكانة في نفوسهم تأجج شهوة الانتقام العمياء التي شبت في نفوسهم المراهقة والشابة المتهورة.. وأكبر رجال الشرطة والمحافظ هذا التصرف والتفكير لدى الشيخ سليمان وإصراره المتواصل على ضرورة عقاب رجال الشرطة بعنف لكل من اشترك في الهجوم على قرية النصارى..

معللاً هذا أيضاً: بأنه سيكون من قبيل تهدئة نفوس إخواننا من سكان قرية النصارى.. وبالرغم من الدهشة التي اعترت بعض رجال الشرطة من المسلمين لهذا الإلحاح من جانب الشيخ سليمان على توقيع أقصى ألوان العقاب على أتباعه من المسلمين، بينما كان المنتظر أن يكون موقفه مؤيدا لهم ومهاجما لموقف النصارى؛ حيث أنهم البادئون بالعدوان كما هو واضح ، والبادئ أظلم.. إلا أنهم أحسنوا الظن في الشيخ سليمان عندما كان يردد لهم: ((قل الحق ولو على نفسك)).. ويردد لهم حديث رسول الله أكثر من مرة: ((لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)).

يبدو أن رجال الشرطة قد ابتلعوا الطعم الذي وضعه لهم الشيخ سليمان فعلا.. فما هي إلا أيام أو أسابيع حتى خرج معظم شباب القرية من مراكز الشرطة، وهم عبارة عن كتل من النقمة والحقد على الشرطة، والحكومة الظالمة تتحرك بين طرقات القرية بين بيوتها والجامع.. كان التجهم والصمت والحقد هو الذي يواجه كل من يحاول التجول بين طرقات وحارات القرية.

وما أكثر هؤلاء المتجولين من المخبرين السريين الذين انتشروا في القريتين .. بالإضافة إلي الدوريات الراكبة والراجلة التي واصلت تجوالها ليل نهار بين القريتين؛ تحسبا لنشوب معركة جديدة أو حوادث ثأر جديدة كما هو متوقع.. بل طال أيضا كل أفراد الأسر الذين وقعت عيونهم الحانقة المتوعدة على ضربات السياط فوق ظهور أبنائهم الطرية ، وعلى الكدمات والسحابات التي لم تزل تبرقش جلودهم البريئة.. ولكن الشيخ سليمان وحده كان أكثر الساخطين والناقمين على: ((ما أوقعته الشرطة من عقاب غير عادل على أبناء الإسلام الأحرار، الذين أرادوا أن ينفذوا شريعة الله في الذود عن النفس المسلمة والمقدسات الإسلامية مثل هذا الجامع الذي أحرقه الكفار من النصارى.. فكان جزاؤهم الضرب والتعذيب بدلا من المكافأة والتكريم.. وهذا راجع بالطبع إلي سبب أساسي وهو أن هذه الحكومة التي تحكم البلد لا تحكم بما أنزل الله.. وماذا ننتظر من حكومة كافرة غير القسوة والانتقام من أبناء الإسلام الأطهار الأبرار .. وممالأة الكفار والنصارى خوفا ورعبا من الدول الكبرى الأجنبية الكافرة، التي

تستطيع أن تطيح بهذا الحاكم، وتأتي بحاكم أخر بين عشية وضحاها .. هل عرفنا الآن يا معشر شباب الإسلام الدافع الحقيقي خلف المبالغة في تعذيبكم من قبلهم دونما وجه حق؟!!)). بتكرار مثل هذه الخطب الحماسية كان يلهب الشيخ سليمان مشاعر شباب القرية ، وبعض رجالها الذين تقاعسوا عن طاعة شهوة السفر إلي الخارج .. في بادئ الأمر كان يفح بها الشيخ سليمان في آذان المراهقين وشباب الجامعات من أبناء القرية حينما كانوا يزورونه في بيته.

لكن مع توالى الأيام، وتفاقم الغضب والسخط، وتنامي مشاعر الكراهية والحقد على الشرطة والحكومة في قلوب أهل القرية جميعهم، بدأ يجهر بها في خطب قصيرة أولا عقب صلاة العشاء، كلما استشعر الأمان بعدم وجود أحد الوجوه الغريبة التي لا يعرفها أو يطمئن إليها .. كان ينوي تصعيدها فيما بعد، ويجهر بها من فوق المنبر في صلاة الجمعة القادمة، لولا أن رسالة شفرية طلبت منه التوجه فورا لمقابلة (المستر وولف والمستر فوكس) في إحدي العواصم الأوربية .

الفصل الثامن

في طريقه إلي المكان والموعد المضروب له في هذه العاصمة الأوربية، كان كل ما يشغل تفكير الشيخ سليمان، الذي خلع عن جسده زيه الإسلامي الأزهري كعادته كلما جاء إلي هنا((لماذا هذا الأمر الحاد المفاجئ للمجيء إليهما؟!!)).

السؤال نفسه طرحه مباشرة على كل من (مستر وولف ومستر فوكس) بمجرد الجلوس إليهما، وقبل أن يفتحا معه أي حوار .. بعد صمت من كليهما .. وبعد تبادل النظرات الدهشة بينهما قال (مستر وولف) بحدة السيف: ((حفاظا على حياتك)).

ازداد الموقف غموضاً لدى الشيخ سليمان فصرخ محتجاً: ((إنني في قريتي وبين أهلي وأنصاري أكثر أمانا من هنا)).

انصهر وجه (مستر فوكس)، تميع وجمد عدة مرات قبل أن يختار سحنة غاضبة حانية ويهمس: ((قبل الآن.. ربما.. اما ابتداء من الآن فلن تشعر انت او اي من عشيرتك بالأمان.. لأن رجلنا من النصارى عندكم، بدأ يتحرك هو الأخر، ويلعب دوره المرسوم له.. مساء اليوم .. وبعد أن تراخت رقابة الشرطة للموقف بين القريتين.. سيهجم بعض شباب قرية النصارى على قريتكم ويثأرون لما فعلتموه بهم.. وربما شملك الثأر لو كنت موجودا معهم.. هل فهمت الآن ؟!!)).

اختلطت الدهشة والسعادة في نفس الشيخ سليمان، وهو يستمع إلي ما قال به (مستر فوكس) وسأل بغرض التأكد: ((او للشيطان العظيم رجال مثلي عند النصارى؟!!)).

فاض الانزعاج من أعماق الشيخ سليمان، وهو يرى ويسمع قهقهات رعدية مرعبة يتفجير عنها أشداق (مستر وولف ومستر فوكس) ونطقا معا بصوت عاصف: ((او حسبت أن الشيطان العظيم يعتمد عليك وحدك؟!!.. هناك مئات الآلاف من أمثالك في كل بقاع الأرض،وسواء أكانوا

ينتمون إلى دين سماوي أو لاينتمون.. وإلا كيف يمكن للشيطان العظيم أن يبر بوعده لربه، وأن يضل كل أبناء آدم؟!)).

لم يمنح (مستر وولف) الشيخ سليمان الفرصة لكي يشعر بشيئ من خيبة الأمل في عدم قدرته على تحقيق حلمه في أن يكون هو وحده المسيخ الدجال، الذي سيضل كل الناس في آخر الزمان كما تنبأ له الشيخ سيف الدين عبد الحق .. أدرك في لحظة أنه ليس هو وحده هذا القوي الجبار الذي يستمد قوته من النبوءة والشيطان العظيم.

كان يعتقد بينه وبين نفسه، أنه يخدع الشيطان حتى يسخره لخدمة هدفه هو، وطموحه التاريخي الذي لازمه طيلة حياته ومنذ أن وعى معناه .. فجأة يكتشف هشاشة وضعه وضعف قيمته، وأنه مجرد مسمار صغير جدا وحقير في ماكينة ضخمة يديرها الشيطان العظيم.

قبل أن يحاول تقييم موقفه بالضبط، ومدى قدرته على تحقيق أمله، أخبره (مستر وولف) -- بإعجاب وغبطة- تحيات الشيطان العظيم، وأنه يعجب بقدرتك الخارقة على إثارة الفتنة لدرجة أنه صرح لمن حوله بفخر: ((إن ابن آدم هذا الذي يسمى بالشيخ قرد، كان حريا به أن يكون من أذكى وأمهر أبنائنا!)).. وبناء على هذا الإعجاب المنقطع النظير، والذي اعترف به الشيطان العظيم نفسه، سيحق لك أن ترتقي درجات عليا في سلم الولاء للشيطان العظيم، مما يخولك الحق في اللقاءات العامة التي يحضرها بقية الأعوان في كل مكان على ظهر وطنكم .. وأنا وشقيقي (مستر فوكس) بدورنا نقدم لك خالص تهانينا على ما حققت لنفسك من مرتبة عظيمة.. وسنتركك الآن، ونختفي إلي أن يحين موعد اللقاء العام ونعتقد أن عطر حبيبتك (ليزا) ذات الجسد الناري المهتاج بشكل دائم- تشعر ناحيته بتوق ولهفة قاتلة.

ضحكا واختفيا .. بقي هو في انتظار (ليزا) وقد غمره أكثر من شعور وإحساس متناقض بين الرضا والسخط والنشوة والانقباض والهياج الجنسي والخمول الذكري.. لقد أسمعاه الآن كلمات تحتاج إلي الكثير من التفكير والدراسة .. فقد الإحساس بالزهو الذي كان يرافقه كلما حل أو ارتحل .. كان مبعث زهوه أنه متفرد في عقده مع الشيطان في بلده، فجأة يكتشف أن هناك،

الكثيرين ممن سبقوه في هذا العقد، وانهم يعملون في خدمته وبإخلاص وتفان منذ سنوات .. بدليل انهم يلتقون من قبله لقاءات عامه ، ويعرف كل منهم الآخر منذ سنوات بعيدة، بينما هو الآن فقط ، وبعد ما يقترب من سبع سنوات في التعرف إلي حزب الشيطان، وتوقيع عقد الدم معه يحصل على هذه المرتبة اليوم فقط!! ((إذا كنت انا احدهم وفعلت هذا الجرم.. أوقعت الفتنة بين المسلمين والنصارى في بلدي.. أحلت امنهم وسلامهم إلي رعب وحرب وجحيم.. ماذا يا تري فعل أو يفعل كل منهم..؟!! لابد أنهم ارتكبوا الكوارث والكوارث لكي يصلوا هم أيضا إلي مثل هذه المرتبة العليا!!!)).

فجأة اقتحمت (ليزا) عليه المكان شبه عارية إلا من غلالة حمراء بلون الدم القاني.. في الحال نهض متجردا من ملابسه كالمسعور ، وقذف بكل الأسئلة التي أكلت رأسه منذ لحظات في أبعد مكان من هذا العالم .

❖ ❖ ❖

في الوقت نفسه الذي كان يبتلع الشيخ سليمان جسد (ليزا) ويمتصه بمتعة عضوا عضوا إلي حد الصراخ منها ، ونزف الدماء مما يزيد من اوار الشهوة في أماكن نائية من جسده المشدود كوتر قوس يوشك على إطلاق سهمه الحاد.. كان معظم انصاره ومريديه من ابناء قريته يتقاطرون فرادى وجماعات ناحية الجامع، وقد كسا الهم والغم جانب الإشراق في وجوههم.. فالحادث لم يمض عليه أكثر من شهر.. ومن بعدها لم تعد قريتهم كما كانت.. لم تعد الأبواب مشرعة أو مواربة كما كانت من قبل.. لم يعد الأطفال يسمح لهم من قبل أهلهم باللعب في ضوء القمر، أو حتى في ظلام الليل كما كان.. كان الترقب والتوجس هو الشعور السائد والمخيم في كل بيوت القرية تقريبا.. ليس لأن بعض جنود الشرطة ما زالوا يعسكرون بشكل رمزي على جانب القرية في زاوية يتمكنون منها من مراقبة مداخل قريتي المسلمين والنصارى المتجاورتين.. ولكن لأن أهل القرية يدركون إلي حد اليقين أن النصارى لن يتركوا ثأرهم من المسلمين .. وأن

العدد الذي قتل من أبنائهم لابد أن يقتلوا مثله من المسلمين .. وإلا لـن يستقيم السلام في نفوسهم ولـن يشعروا بكرامتهم ولا باحترامهم لأنفسهم في مواجهة نسائهم وأولادهم.. ولن تبرد نيران قلوبهم إلا بالانتقام والثأر من المسلمين.. بعض المتفائلين من أبناء قرية المسلمين ظنوا أن النصارى أعقل من أن يفكروا في القصاص بأنفسهم.. لأنهم حتما يعرفون أن قتل المزيد من المسلمين ثأرا، يعني بالمقابل التربص فيما بعد للثأر منهم بضعف العدد المقتول.. لكن الأمهات بوجيب قلوبهن كن يندفعن بفزع خلف أي من أطفالهن الصغار، الذين يغافلونهن ويفتحون الأبواب الموصدة، ويجرون في الطرقات مع المساء كسابق عهدهم باللعب ليلا.. كن ينتزعن الأطفال صارخات: ((لا تبرح البيت ليلا؛ وإلا قتلوك النصارى)).

إن كل من في القرية بدأ يفكر في اقتناء السلاح بأي ثمن للدفاع عن نفسه وعن أسرته، وهذا أيضا ما كان يحدث بالضبط في قرية النصارى.. لم يعد الهدوء هو الطابع المميز لها كما كان من قبل.. لم يفكروا في إزالة آثار الحرائق التي أضرمها المسلمون في بيوتهم.. الدموع في كل البيوت كانت ينابيع غضب تروى يوميا شجيرات الحنق والثورة التي نبتت في صدورهم فجأة، وراحت تنمو مع كل دقيقة نموا سرطانيا إلى حد الانفجار، وخاصة أنه ثبت لهم أن أيا منهم لم يرتكب جريمة حرق شيخ المسلمين، ولا حرق مسجد المسلمين.. وأكد لهم أحدهم يقينه بأن المسلمين هم الذين دبروا هذه الجريمة بأنفسهم لكي يتذرعوا بها لقتل المسيحيين وطردهم من قريتهم طمعا في أرضها.. وكان يزيد من سخطهم ويستثير فيهم الهمة والرجولة والكرامة وضرورة الأخذ بالثأر من المسلمين.. ولابد من تلقين المسلمين درسا عنيفا.. وبالفعل اشترى لهم السلاح اللازم للانتقام لقتلاهم.. ولكن تخير مع آخرين الموعد المناسب.. وكان الموعد المناسب عندما تخف الرقابة من قبل الشرطة، وتبدأ في سحب قواتهم بعيدا عن القريتين.. وكان الموعد المحدد للهجوم على المسلمين هو أثناء صلاة العشاء في المسجد.. وشدد عليهم ألا يتقدموا عن الموعد دقيقة أو يتأخروا عنه دقيقة؛ حتى يتم الانتقام دون ترك أية آثار تدل عليهم، وبذلك تكون الضربة قوية، ليس لقرية المسلمين وحدها،

بل للحكومة المسلمة التي تنصر أهالي قرية المسلمين عليهم، ولرئيسهم الذي ينوي تحويل الدولة كلها إلي دولة إسلامية يقضي فيها علي كل أثر لأتباع المسيح.. هكذا كان يكرر لهم واحد من أتباع الشيطان الذي غرس في قرية النصارى ليحدث التوازن المطلوب مع الشيخ سليمان.. لكن الأمر الذي تلقاه الا يبدأ بالهجوم إلا بعد صدور الأمر.. وصدور الأمر إليه كان مرتبطا بسفر الشيخ سليمان بعيدا عن قرية المسلمين..

في اللحظة المحددة.. وبينما كان عدد كبير من أهالي قرية المسلمين يسجدون في ركعتهم الأخيرة من صلاة العشاء، انطلق فوق ظهورهم بشكل مفاجئ طلقات سريعة من رشاشين سريعي الطلقات.. بعض المصلين جمد في مكانه. ولا يدري إن كان على قيد الحياة بعد أم أنه انتقل إلي جوار ربه وهو يصلي.. بعضهم انتصب واقفا - بشكل لا إرادي- ليرى ما يحدث، لكنه هوى في الحال بعد أن غطت وجهه وملابسه خيوط كثيرة ومتقاطعة من دماء ساخنة.. صمت صوت الرصاص للحظات.. لم يتمكن أحد من الساجدين من النهوض لفترة طويلة.. بعضهم تلوى..تقلص..انبسط في دمائه وهو يردد ((لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله)) البعض الآخر أخذ يتحسس أجزاء جسده عضوا بعد عضو ليتأكد من سلامته، وإذا ما كان على قيد الحياة ، وأنه سليم معافى البدن ولم يمس بأي طلقة رصاص.

في الحال فتحت الأبواب.. انطلقت صرخات النساء.. تعالت أصوات الاستغاثة من كل مكان.. ارتبك الجميع.. طارت إشارة لاسلكية من السيارة الوحيدة الباقية من الشرطة تبلغ عن تجدد الاشتباكات بين النصارى والمسلمين مستغيثة بقوة كبيرة من رجال الشرطة المجهزة.

وبالرغم من النحيب والعويل الذي صدر عن صدور وحناجر المسلمات والمسلمين، إلا أن هذا لم ينشر الفرحة أو الارتياح فوق قلوب النصارى، الذين كانوا يتمنون الانتقام بالفعل، ولكن بمجرد علمهم بما فعله بعض شبابهم بالمسلمين ومجزرة الجامع الكبير، أضاف إلي حزنهم وحسرتهم الخوف والرعب مما سيترتب عليه من ثأر المسلمين .. أدركوا أنهم قد تم ابتلاعهم من قبل دوامة النيران والقتل .. أيقن معظمهم أن المسلمين لن يستريحوا

ولم يرو غليل ثأرهم وانتقامهم إلا بعد أن يقضوا تماماً على كل نفس لرضيع بعد أن يذبحوا كبارهم بالسيوف.. لن يتركوا لهم حجرا فوق حجر.. فما دام الانتقام وصل إلي قتل المسلمين أثناء صلاتهم في الجامع.. فلن يتوقف الأمر عند أهالي قرية المسلمين وحدهم، بل سيمتد الانتقام إلي كل قرية، وكل حي يعيش فيه المسلمون والمسيحيون.. بدأ معظمهم يستنكرون هذه الفعلة الشنعاء.. وبدؤوا يتساءلون عن الذي خطط لها؟!!.. لكنهم لم يتوصلوا إليه.. لم يتمكنوا من تحديد شخصيته بالضبط.. معظمهم أيقن باستحالة البقاء في قرية النصارى ليوم واحد.. البعض فكر في الرحيل من القرية إلي أي مكان آخر داخل الوطن.. بعضهم قرر أن يترك الوطن كله، ويرحل بأسرته أو بما تبقى منهم إلي مكان آمن خارج الوطن.. أما البقاء وسط هذا الجحيم الذي استوطن مكان جنتهم السالفة فهو شئ مستحيل.. بعضهم فكر في تأجيل الرحيل؛ كي يبيع أرضه وبيته بسعر مناسب.. لكن آخرين اقتنعوا بأن وسط هذا الجحيم لن يجدوا أحدا يشتري منهم بسعر مناسب؛ فقرر أن يهجر ممتلكاته كلها ليحتلها الخراب، وهو غير نادم على ما ترك، ويكفيه أن يفر بجلده هو وأهله.

أما بالنسبة للمسلمين فلم يوقف تكاثر أفراد الشرطة من جديد تصميمهم على الثأر، كانت عيونهم التي تحولت إلي حفر من نيران بيضاء، قد أفادت بهذا في وجه كل من يطالعها، سواء من رجال الشرطة أو من المدنيين.. لكن الشيء الذي كان يؤجل قرار الانتقام هو انتظارهم لشيخهم المهاب الشيخ سليمان الذي سافر إلي أوربا لمناقشة رسالة الدكتوراه منذ يومين فقط.. ومتى جاء فلابد أن يفكروا في الانتقام لقتل الأطهار الذين قتلوا وهم يصلون.. لكن متى يصل الشيخ سليمان.. وهل سيلهمهم الله الصبر حتى يعود؟!! .. كانوا يتضرعون إلي الله أن يمنحهم هذا الصبر، أو حتى يمن عليهم بجزء منه.

الفصل التاسع

بالرغم من الهزائم المتلاحقة، التي تجرعها مُرّة مرارة العلقم، من بدرية في طفولتها النقية، أو في نضجها العنيد حتى الموت .. إلا أن كل هذه الهزائم مجتمعة لم تكن غير حصاة صغيرة في مواجهة جبل الهزائم العملاق الذي حط فوق رأسه، منذ أول لحظة في حضوره لهذا الاجتماع الموسع لكل أعوان الشيطان الذين ينتمون إلي نفس الوطن الواحد الذي ينتمي هو نفسه إليه.

في كل هزائمه السابقة كان يملك الأمل في أن يكون المنتصر في النهاية بطريقة أو بأخرى .. كان يتبقى لديه آية بقعة ضوء ولو باهتة، يسترشد بها ليبني لنفسه مستقبلا أفضل ، يحسده أهل قريته عليه.. لم يكن يهمه الوسيلة التي يود أن يحقق بها هذا المستقبل.. فالشرف والحق والخوف من الله كلمات لا تعني أي شئ في نفسه.. كان كل همه أن يبرق في عيون الآخرين، سواء بالحق أو بالباطل.. حتى وضعته الظروف عبر فخذي (ليزا) التي ضاجعها في بيت الداعرات أكثر من مرة، وهالها حيوانه غير العادي.. كانت مكلفة هي وزميلاتها من قبل المؤسسة التي تعمل لها أن تبلغ عن الأشياء الشاذة التي تقابلها.. شدّ انتباهها إليه أكثر أنه يتكلم الفرنسية بطلاقة .. شدها أكثر أنه صارحها بأنه رجل دين مسلم.

في الزيارة التالية كان بانتظاره أحد عملاء منظمة الشيطان.. وتم التعرف إلي (مستر وولف وفوكس)، وكتب العقد بالدم مقدما الولاء الكامل للشيطان.. عاش أجمل أيام حياته، وهو يحقق امنيته في أن يكون المسيخ الدجال في قريته .. لم يكن يفكر في يوم من الأيام أن يحصل على هذه الهيبة في قلوب وعيون أهل قريته الذين نبذوه، ونبذوا أمه من قبل، وتندروا عليها.. تمكن من الزواج من بدرية منتزعا لها من حب عاطف ابن العمدة.. فعل له الشيطان كل ما يريد.. وشعر بالانتصار على الجميع.. لكن النصر الأكبر كان ينتظره عندما يرى نفسه في نهاية الأمر متربعا على عرش العالم، بعد أن يحيله إلي خراب.. حلم بأن يدين إليه وحده كل أهل الوطن.. بل كل الناس في جميع أنحاء العالم بالحب أو

الخوف إلي ان يصبح الإله الأكبر.. كان قد دنى من تحقيق هذا الحلم.

لكن هذا الاجتماع الموسع لعملاء الشيطان، جاء ليمحق كل إحساس بالنصر كان قد استقر في شعوره من قبل.. لقد فوجئ بالعدد الكبير من اتباع الشيطان الذين ينتمون إلي وطنه.. أذهله تنوعهم، وعلو مراكزهم في وطنه.. الصحفي الكبير، والمسئول الكبير، ورجل الدين المسلم والمسيحي واليهودي المعروفين.. حتى الوثنيين من ابناء الوطن لهم حضور أيضا!!

لقد سحق حقيقة عندما وقعت عيناه على مسئول كبير في الحكومة، كان ولم يزل وجهه يملأ شاشات تليفزيونات الوطن، كان البعض يطلق عليه لقب رجل لكل العصور؛ نظرا لاستمرار خدمته الحكومية مع أكثر من رئيس دولة حكموا هذا الوطن. حتى الفنانين .. لم يخل الاجتماع من بعض المشهورين منهم .. اكتشف فجأة أنه أقل الموجودين قدرا.. ربما هو الوحيد الذي لا يعرفه أبناء الوطن بشكل كبير.. لكن كل هؤلاء الأعلام والشخصيات العامة، كيف تمكن منهم الشيطان ومنظمته؟!!.. وهل تعاقدهم معه هو الذي مكنهم بداية من الوصول إلي احتلال المراكز العامة المهمة والمسئولة؟!.. أم أنه اختارهم بعد وصولهم إلي هذه المراكز المتقدمة في المجالات المختلفة؟.

تراجع عن التفكير عندما تذكر ما حدث معه.. وكيف أن المنظمة اشترت منه نفسه مقابل أن تحقق له كل ما يريد.. وهمس لنفسه مؤكدا: ((الآن أستطيع أن أجزم بأن الشيطان وحده هو الذي أوصلهم إلي مراكزهم مقابل تحقيق ما يطلبه منهم)).

وسط الدهشة التي فاضت عن كل ملامح وجهه المرتاب والناضح بمظاهر الانكسار بين هؤلاء القمم، بدأ الاجتماع بكلمة من (مستر وولف) الذي يجاوره (مستر فوكس)، فقال بوجه لم يزل تتبدل ملامحه بمعدل مرة كل دقيقتين ((يحق لكم أولياء الشيطان العظيم أن تفخروا بأخيكم الجديد الشيخ سليمان النجمي، الذي ينضم إليكم اليوم بعد أن أنجز عملا أسعد الشيطان العظيم.. ولابد أنكم سعدتم به جميعا، وأنتم تتابعون أخبار الفتنة الطائفية بين النصارى والمسلمين في وطنكم.. مما أثار الكراهية

والبغضاء في نفوس الفريقين.. وأزال من قلوبهم الحب المتبادل من قبل، والذي كان يغيظ الشيطان العظيم.. الآن قطعنا مرحلة لا بأس بها في وطنكم.. لكن الشيطان العظيم غير راض عن هذا.. هناك الكثير من المخاوف تنتابه من هذا المد الإسلامي؛ ومحاولة الإبراهيميين العودة الحقيقية والمخلصة، والإصرار على التمسك بالدين الذي بعث به محمد!!.. انتم تعلمون أن هذا الدين لو استقر في مكان، وفي نفوس أبناء آدم؛ ستنتظم العلاقات بين الناس.. سيلتزم كل منهم بدافع من داخله بعمل ما عليه؛ وأخذ ماله.. وبالتالي سيعم السلام والحب؛ وسيفشل الشيطان العظيم في تحقيق وعده وعهده الذي أقسم به لرب العالمين.. إذن كما تعلمون ليس هناك من وسيلة للقضاء على هذا الدين المزعج غير ان يحارب الإسلام هذا من داخله ومن خارجه حتى لا يتمكن في الأرض.. والآن يا أخلص ابناء آدم للشيطان العظيم، وجب علينا أن نستمع إلى آرائكم ، ومقترحاتكم لمحاربة هذا التوجه الإسلامي الجديد)).

سيطر على الشيخ سليمان بغض عظيم؛ فوقف يتكلم بجسارة في مواجهة الأعلام والمشاهير الذين يرونه لأول مرة؛ وكأنه أراد أن يلفت نظرهم إليه، وان يخلق نوعا من التوازن النفسي لديه؛ متغلبا على إحساسه بالدونية تجاههم؛ فهتف كأنه يصرخ: ((في رأيي أن الحل الأوحد في القضاء على الإسلام ان نغير نظام الحكم في الوطن، وأتولى أنا حكم الدولة باسم الإسلام مستغلا عاطفة الناس المشبوبة للعودة إلى الدين كحل لجميع مشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية .. وبعد أن أتولى نظام الحكم في الوطن، وأتولى نظام الحكم بمساعدتكم .. أتشدد في الحكم ؛ وأضيق على الناس باسم الإسلام ضيقا لا يحتمله أحد، حتى ينتهي الأمر بالناس جميعا في نهاية المطاف إلى كراهية الإسلام ، والرجوع عنه.. وكرد فعل منتظر سيمارس الناس عكس ما نتشدد به طبقا لنظرية رد الفعل التي قال بها نيوتن)).

تمهل (مستر فوكس) قبل أن يستدرك بملامحه الهلامية ((لكن كيف سيتم لك الاستيلاء على نظام الحكم، وأنت لا تملك القوة العسكرية التي تمكنك من هذا؟)).

نهض الشيخ من جديد موضحاً: ((لقد أوضحت أنني سأستغل عاطفة الناس نحو رغبتهم في الإسلام كحل لجميع مشاكلهم المزمنة والمؤقتة.. وسيتم هذا من خلال الخطب الساخنة الملتهبة الباكية في كل مكان، وإذا كنت قد نجحت في استمالة اهل قريتي، الذين راوني راي العين وانا انكح حميرهم.. فكيف بهؤلاء الذين سيعرفونني في صورتي المحترمة، وخاصة بعد أن منحتموني بالأمس شهادة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية.. كما اني ارى من إخواني أتباع الشيطان العظيم هنا، ممن يسيطر على قطاعات كبيرة في إعلام الوطن، ويمكنه أن يساعدني في تحقيق هذا)).

قبل أن يجلس الشيخ سليمان في مقعده سعيداً بفكرته التي طرحها منتشياً في نفسه الأمل من جديد في أن يصبح في يوم من الأيام حاكماً لهذا الوطن.. نهض المسئول الحكومي الكبير، وأوضح قائلا بحزن: ((يبدو ان رئيس الدولة الحالي، واتباعه قد توقعوا ان يخرج من بين الناس من يدعو بهذه الدعوة التي اقترحها علينا الدكتور سليمان النجمي .. لذلك ومن واقع قربي من موقع رئيس الدولة كمسئول؛ علمت ان رئيس الدولة يعد سرا قوانين الشريعة الإسلامية لكي يعلن نظام الحكم الإسلامي في الوطن بشكل دستوري وشرعي عبر مجلس الشعب.. وبالتالي لن تنفع الحجة التي سيقول بها الدكتور سليمان وامثاله، وفي هذه الحالة وجب علينا أن نفكر في حل افضل)).

هال الجميع هذا الاحتراق الغاضب الذي تمكن من جسدي (المستر وولف والمستر فوكس)، وصرخا في آن واحد: ((في هذه الحالة لو ثبت ما قلته، لابد من قتل رئيس الدولة فورا، لابد من قتله بأي ثمن، وفي أسرع وقت، وقبل أن يصدر قوانين الشريعة الإسلامية، قبل ان يعلن وطنكم دولة إسلامية .. لو تم هذا فلن تتمكن أية قوة شيطانية من النيل من أهلها .. سيتحقق الفشل الأبدي للشيطان العظيم في الوفاء بقسمه لرب العالمين .. هل سمعتم جميعا.. لابد من القضاء على رئيس الدولة لو هو فكر مجرد تفكير في إقامة دولة إسلامية.. يجب أن يبقى وطنكم دائما بين المد والجزر.. لابد أن يكره الناس الإسلام، والمسيحية واليهودية، وإذا سمحنا لأحد أن يحكم بها فيجب أن يكون متشددا

إلى أبعد مدى حتى يكره الناس الأديان.. لابد أن ينصرفوا عن عبادة الله.. وإلا ستحل عليكم أنتم لعنة الشيطان العظيم.. سنفتك بكم أنتم دون رحمة أو شفقة..هل فهمتم؟)).

ومن خلال الفزع الذي كفن قلوب كل الحاضرين من موقعي العقود مع منظمة الشيطان ، حتى أن معظمهم قد استحال بالفعل إلى مومياوات فرعونية مشلولة وصفراء .. نهض الصحفي الكبير مقترحا بعزم وحزم : ((حتى هذا الأمر لا يجب أن يدفع منظمة الشيطان العظيم إلى الارتباك والانهيار والتهديد لنا بسوء العاقبة،لأننا يمكن قتل فكرة رئيس الدولة في إقامة حكومة إسلامية في الوطن بالطريق الدستوري .. فيمكننا في الصحافة أن ننشر الخبر بما ينطوي عليه من شك وتوجس من سوء عاقبة أتباع هذا النظام الإسلامي .. وخاصة أن هناك العديد من الأقليات غير المسلمة على أرض الوطن .. في الحال ينهض أخونا رجل الدين المسيحي، ومعه رجل الدين اليهودي برد الفعل المعارض.. مؤكدين ومشددين على رفض هذا النظام الجديد الذي سيوقع الضرر على حقوق الإنسان، وما سيترتب عليه من تفرقة عنصرية.. ويجب أن تكون المعارضة من جانبهم عنيفة ودموية .. ومن جانبنا نحن المسئولين عن الإعلام سنتولى أمر حملة ضخمة، ومخططة للوقوف في جانب الأقليات .. في الوقت نفسه تتولى منظمة الشيطان العظيم هنا في الغرب وفي أمريكا شن حملات إعلامية ضخمة وشرسة ضد فكرة أسلمة النظام في الوطن.. وأعتقد أن هذه الخطة التي قلت بها الآن لو نفذت بإيقان وإخلاص مهما ترتب عليها من مخاطر قد تقع علينا.. سننجح حتما في القضاء على فكرة إقامة نظام سياسي إسلامي على أرض الوطن..وفي أسوء الفروض لو نهض هذا النظام الإسلامي على أرض الوطن، ولم ننجح في منعه، فستكون الخطة الأخرى التي قال بها أخونا الشيخ سليمان النجمي، حيث يتولى النظام مجموعة مختارة من المتشددين، الذين يعملون مع الوقت على كراهية الناس للإسلام والارتداد عنه، والارتماء في حضن الشيطان العظيم)).

يبدو أن الخطة قد راقت بالفعل (لمستر فوكس) الذي انتصب واقفا وراح يصفق دون توقف لدقيقة كاملة، ثم صاح بانبهار حقيقي: ((إن إعجابي بمكرك ، يوشك أن يدفعني إلى

مرتبة الحقد عليك..أنت جدير بأن تكون واحداً من أبناء إبليس العظيم)).

بعد هذا التقريظ الذي أفعم آذان الحاضرين، رتعت قلوبهم في صدورهم، وجفت ينابيع الخوف التي فاضت في نفوسهم منذ لحظات على إثر التهديد والوعيد الذي صدر عنهما .. وهدأت الأنفاس مما حدا برجل الدين المسيحي أن ينهض مبتسما مستدركا: ((لكنكم تتكلمون عن المستقبل القريب، وتتركون الحاضر.. تعلمون أنني أكملت مع أخي الشيخ سليمان النجمي حوادث الفتنة الطائفية بين المسيحيين والمسلمين.. ماذا سنفعل الآن بعدما هجم أنصاري من شباب قرية النصارى على قرية الشيخ سليمان النجمي؟!!هل ترغبون في التوقف عند هذا الحد؟!!)).

نهض المسؤول الحكومي الكبير موضحا بتؤدة وعمق: ((يجب أن تعلموا أن أحداث الفتنة الطائفية التي شبت بين نصارى ومسلمي القريتين، وامتدت منهما إلي مناطق كثيرة في الوطن بفضل هذا الترويج الخبيث —أقصد الذكي- الذي قام به أخونا رجل الإعلام النشط، قد أدى إلي إرباك حقيقي للحكومة ورئيس الدولة، وأجهزة الأمن.. وأن هذا الإرباك سيؤدي حتما وفي نهاية الأمر إلي إصدار القرارات العامة الغير مدروسة بشكل جيد، مما سيكون له ابلغ الأثر في تفاقم التوتر والاضطراب بين الناس جميعا، وما يترتب عليه من تدهور التنمية والتقدم.. فكما تعلمون أن الخائف المتوتر؛ لا يمكن أن ينتج ، أو يبدع بشكل جيد.. وكما يقول ابن خلدون .. من لا يتقدم يتأخر؛ لذلك فإني أرى أن نستمر في إثارة الفتنة الطائفية دون هوادة؛ حتى تصرف الناس عن الثقة في أي مخلوق، أو حتى الثقة في الله الذي يعبده المتخلفون عن غيب)).

نهض الشيخ سليمان بطولة المتواضع ونظارته السوداء بحماس وإرادة: ((عن نفسي لن أتراجع عن فكرتي في الوصول إلي كرسي الحكم.. بعد هذا الاجتماع مباشرة سأتوجه إلي قريتي.. سأستغل نقمتهم، وثورتهم ضد النصارى لما فعلوه بهم في الجامع، واستبدل هذا الغضب والسخط الذي يحرق قلوبهم إلي سخط ونقمة على الحكومة.. سأطلب من مريدي سرا إنشاء جناح

عسكري.. ساشتري لهم السلاح.. فقط أريد من منظمة الشيطان العظيم أن ترسل إلي بمدربين جيدين.. أو أرسل لهم بعض شبابي من أبناء القرية الذين ربيتهم على الولاء لي في غيبة آبائهم في الخارج.. بهدف التدريب .. لقد قررت أن أصل إلي كرسي الحكم باسم الإسلام؛ للقضاء على الإسلام في وطني بأقصى سرعة.. سأعطي للجميع انطباعا بأن الإسلام هو الدين الدموي المقيت.. وعلى إخواننا من أهل الإعلام سواء في داخل الوطن أو خارج الوطن أن يثيروا الجميع علينا.. لابد أن يكره الجميع المسلمين من خلال تصرفاتنا الدموية، ونحن من ناحيتنا لن نترك أحدا دون أن نصيبه بالم باسم الإسلام، سأحقق نظرية الروسي بافلوف في الارتباط الشرطي بين الإسلام والدموية والوحشية، هذا عهد علي أقطعه على نفسي أمامكم)).

اتسعت آلاف الابتسامات في شكل شظايا على شفاه كل من (المستر وولف والمستر فوكس) لدى سماعهما لكل الآراء التي قيلت من جانب أعوانهم في وطن واحد فقط.. واتسعت ابتساماتهم أكثر وأكثر إلي درجة انصهار ملامح الوجهين بشكل عاصف عندما رأيا حماس الشيخ سليمان النجمي و كراهيته الشديدة للإسلام ولله، وعندما تذكرا إخلاص أعوانهم في بقية بلدان العالم ، وخاصة الإسلامي منه .. شعرا بالرضا الكامل ، وهتفا معا بإخلاص وحب عميق لكل المجتمعين: ((فليباركم الشيطان العظيم.. فليباركم الشيطان العظيم)).

في الحال تبخر كل من (مستروولف ومسترفوكس) معاً في الهواء.. بعدها بدقائق ، وبقوة خارقة كان كل واحد من المجتمعين يتوجه إلي بيته، أو إلي مكتبه في أرض الوطن، كان كل منهم يطوي صدره على تصميم كامل على الإخلاص للشيطان العظيم.

الفصل العاشر

أما عن الدكتور عاطف السيد، والمعروف من أهل القرية بعاطف ابن العمدة، لم يشأ أن يبكي كالأطفال، أو يكره الدنيا، ويصاب باكتئاب قاتل، عندما هجرته حبيبته بدرية فجأة وبدون مبرر .. حاول أكثر من مرة، ومستعملا أكثر من وسيلة للاتصال بها، لسؤالها عن الدافع الخطير الذي يجعلها تطوح بحب وعواطف نبيلة طاهرة كانت توجد بينهما منذ الطفولة فجأة، ودون سبب يذكر؟!! .. لكنها حسمت الأمر تماما، وغرزت في قلبه - دون قصد- نصلا مسموما لم ينتزع من مكمنه حتى الآن.. وذلك عندما وافقت علي الزواج من سليمان ابن بهية.

كان يمكنه أن يصدق أي شئ مهما كان غريباً.. إلا أن يصدق خبر زواجها من سليمان .. سليمان؟!! .. سليمان؟!!.. لكم كانت تكره سماع اسمه، وتتشاءم إذا ما وقعت عيناها الجميلة على سحنته القبيحة، كانت تمقته، وتشمئز منه اشمئزازها لرؤية حيوان نافق منتفخ ومتعفن تحمله مياه الترعة الكبيرة التي تمر بالقرية مسمما الفضاء كله بروائحه العفنة المقرفة .. في كلتا الحالتين كانت تنتابها رغبة في التقيؤ .. كيف بها تقترن به؟!!.. ويضمها بيت واحد!!..بل وحجرة نوم واحدة وسرير واحد؟!!.. ما الذي طرأ على كيمياء جسدها ، حتى امكنها أن تتغير ، وتهيئ نفسها لتتقبل سليمان ابن بهية؟! .. لا يمكن أن يؤمن بالسحر، أو تأثير الجن، والعمل كما يقول أهل القرية، بعد أن ضيع عمره في دراسة الطب!! .. ربما كانت هذه طبيعة المرأة دون أن يفهمها فهما جيدا؟!! .. ربما أغراها سليمان، واغرى أباها بالمال الذي عاد به من عمله في الخارج كما زعم البعض؟!! ربما دس بيننا أحد الوشاة، وكذب عليها مدعيا بأنني أحب فتاة غيرها؟!!

أسئلة كثيرة دوخت رأسه لمدة شهور.. لم يصل إلي إجابة شافية.. لأن التي تملك الإجابة الصحيحة وحدها أحجمت تماما عن الرد عليه، أو حتى السماح لنفسها بمقابلته.. قطعت كل

وسائل الاتصال، أو الحوار بينها وبين من أرسلهن لها بعبارة واحدة لا تزيد عليها مما أصابه بالضجر منها، والحنق عليها وعلى كل النساء .. كانت تردد في وجوههن جميعا باستسلام حزين: ((كل شئ في الدنيا نصيب)).. لم يجد أمامه من وسيلة أفضل غير أن يلفظها تماما من تفكيره، وأن يعوض ذلك بالإقبال على الدراسة.. دافع داخلي حثه على الاتجاه إلي دراسة علم النفس بعد الحصول على بكالوريوس الطب .. أبدى رغبته لأبيه العمدة في أن يكمل دراسة الدكتوراه في علم النفس في لندن.. لم يرفض العمدة.. أيده في الحال متضرعا إلي الله بينه وبين نفسه أن يتجاوز عاطف أزمته العاطفية بسلام .. بعد أن كل وتعب من محاولاته المستميته كي يمنع أبابدرية الحاج عبد المحسن لمنع زواجها من الشيخ قرد، وأنه على استعداد أن يدفع له المهر الذي يريده ويعتذر لها فورا على ابنه الدكتور عاطف .. لكن الرجل كان عنيدا ومصمما بشكل يدعو إلي الدهشة على إتمام الزواج رافعا من قدر سليمان في عيون أهل القرية .. وكأنه صار وزيرا دون أن ندري!! .. لذلك وافق العمدة على سفر ابنه في الحال إلي لندن .. ولم يجد عاطف أثناء عاصفة محنته الهوجاء من صديق بجواره يستند إليه، ويشكو لوعته ، وحزنه ، ودهشته غير زميله من سنوات الدراسة الإعدادية والثانوية والجامعية في كليه الطب الدكتور جرجس غالي.. جاره من قرية النصارى المجاورة لقريتهم .. كان كل منهما يشعر بأنس وارتياح وصفاء كلما تحدث إلى صديقه .. عندما علم برغبة عاطف في دراسة الدكتوراه في علم النفس من بريطانيا .. أسرع هو الأخر إلي ابيه تاجر الغلال الثري المعروف، وطلب منه أن يذهب مع عاطف ابن العمدة لدراسة الدكتوراه في لندن .. ولكنه قرر أن يتخصص في دراسة القلب.. استمرت صداقتهما معا في لندن .. وكان هو الأنيس الوحيد، والمسرى عن عاطف لحظات دموعه ولوعته، عندما علم أن بدرية قد ماتت.. بالرغم من ضيقه وسخطه عليها لتصرفها الكريه إلا أنه كان يتمنى أن تظل حيه تضئ القرية بنورها.. لكن موتها قضى تماما على أية جزوه عاطفية يمكن أن تتوهج في قلبه تجاه أية امرأة أخرى بعد ذلك.. فتفرغ تماما للدراسة ..

لم تنقطع علاقته بصديقة جرجس غالي الذي يقيم معه في نفس المسكن .. وحتى عندما وصلت إليهما أخبار مآسي الفتنة الطائفية بين قريته وقرية جرجس، لم تنقطع العلاقة .. بل ظلت كما هي ، فقط كانا يتساءلان من لحظة إلي أخرى ((لماذا وقع هذا ؟!!كيف وقع هذا؟!!)).. كان السؤال يتكرر دائما كلما قرأ في الصحف البريطانية، أو في الصحف العالمية التي تصل إليهم عن أخبار جديدة حول هذا الاحتكاك الذي يقع بين المسلمين والمسيحيين .. ولماذا يحدث هذا الآن على وجه التحديد؟! .. ولماذا بدأ في قريتيهما بالذات؟!! .. بالرغم من العلاقات القوية، والصداقات المتينة التي كانت تربط بين كل من سكان قريتيهما .. استنتجا معا وبتفكير منطقي أن هذه الفتنة الجديدة على وطننا لا شك أن التي تحركها أيادي خفية تهدف إلي التمزيق والتقطيع .. لا شك أنها قوى خارجية .. لكن يعود السؤال المحير يصفعهما معا: ((كيف تمكنت القوى الأجنبية من الوصول إلي قريتينا في أقصى جنوب الوطن؟!!)).

ومع أنهما لم يتمكنا من التوصل إلي أية إجابة محددة وشافية، إلا أنهم شددا على ضرورة الانتباه، وعدم ابتلاع الطعم.. وألا يكون لمثل هذه الأخبار اي تأثير على صداقتهما التاريخية العميقة والمخلصة.

كان كل منهما مخلصاً لما أخذه على نفسه تجاه صديقه .. فلم يستجب أي منهما للتحذيرات التي كان يرسل بها أهله من أرض الوطن للحذر من صديقه المسلم، أو صديقه المسيحي .. كان يسارع كل منهما إلي تمزيق الرسالة، وإحراقها ولا يعيرها قليل اهتمام .. ويقدر الدافع النبيل الذي دفع الأهل إلي كتابة هذا .. لكنهما كان لديهما امل قوي وعظيم أن يأتي اليوم ، وتنكشف اليد المدبرة لكل هذه الجرائم.. وتعود العلاقة بين القريتين المتجاورتين مثلما كانت من تعاون وصداقة وحب .. ويعود والد جرجس لزيارة والد عاطف ويشرب معه الشاي في المضيفة .. ويأتي اليوم الذي يذهب أولادهما للاستذكار معا كما كانا يفعلان معا عندما كانا في المرحلة الثانوية .. كانا يتناولان

طعام العشاء في أي بيت من بيتيهما؛ إذا ما أمسى على أحدهما الليل في بيت الآخر..

استمر عاطف على حاله من الركود النفسي كبحيرة مغلقة لا تلمسها الرياح .. مفضلا النأي بنفسه عن المثيرات العاطفية .. لم يعد مقتنعا بقيمة أي انفعال .. اكتفى فقط بدراسة الانفعالات النفسية، والعقد النفسية لدى مرضاه الذين يعد عنهم رسالة الدكتوراه.

كان يذهب إلى مرضاه ثلاث مرات أسبوعياً في إحدى المصحات النفسية لدراسة حالاتهم، ومتابعتها، وتحليلها .. في كل مرة كان يلفت انتباهه شاب يميل إلى الملامح العربية.. لم تكن هذه الملامح فقط هي التي جذبت انتباهه .. في المصحة النفسية مصحة مفتوحة لجميع سكان العالم، ولمن يدفع الأجر، وبها الياباني والصيني والأفريقي والأوربي .. لكن الذي شد نظره إليه هو شئ يشبه الذكرى .. كأنه يذكر أن عينيه وقعتا من قبل على مثل هذه الملامح .. حاول أن يقترب منه ويكلمه بالعربية فلم يجب عليه .. كلمه بالإنجليزية ولم يجب عليه أيضا .. انصرف عنه مذكرا نفسه بأن هذا اللبس وقع معه مرة من قبل، عندما رأى في أحد أسواق لندن شابا يشبه تمام الشبه زميلا له بكلية الطب في وطنه، وعندما أسرع إليه محتضنا ومصافحا له بشوق هادر، إذ به يكتشف أن هذا الشاب ليس من وطنه على الإطلاق.. بل كان هنديا، ولكن الشبه كان كبيرا إلى حد مذهل .. لذا لم يجد بدا من أن ينصرف عن التركيز والنظر إلى هذا الشاب المريض .. ولكن بعد أن سأل عن حالته قيل له أنه من الهند من أسرة ثرية، ومصاب بفقدان الذاكرة.

بعد ثلاثة شهور تقريباً، منذ أن وقعت عيناه على ذلك الشاب، ومنذ أن أهمل وجوده في المصحة، واهتم بمرضاه المخصصين له .. فوجئ بالشاب نفسه يقترب منه بحرص شديد .. كان يتلفت حوله كأنه يطمئن إلا أن أحدا لا يراقبه .. بعد ذلك همس بصوت منخفض، وهو يتطلع إلى جهة بعيدة عن الجهة

التي يوجهها وجه الدكتور عاطف: ((دكتور عاطف .. لا تنظر نحوي .. اسمعني فقط ، وتشاغل بشيء آخر.. أوهم الجميع أننا لا نتكلم معا.. أنا جلال عبد المحسن.. أخو بدرية .. سأذهب إلى مراحيض المصحة الآن اتبعني بعد خمس دقائق من الآن،لا تلتفت إلي .. هناك من يراقبني)).

انسحب الشاب، وتسمر عاطف مكانه فاقداً القدرة على استيعاب ما سمعه منذ لحظات.. اقشعر بدنه، وهو يسمع اسم بدرية يأتيه فجأة من الماضي السحيق .. ينتزعه انتزاعا من جب الذكريات العميق .. الآن تذكر .. أنه جلال أخو بدرية .. الآن يذكره تماما بالرغم من التغييرات الجسدية التي اجتازته .. كان يذكر أنه سافر إلي إيطاليا في عطلة الصيف لم يعد لإكمال دراسته في كلية الألسن .. قيل أيامها على أنه عثر على عمل مربح هناك .. لكن ما الذي أتى به إلي هنا بعد كل هذه السنوات؟! .. ولماذا كان فاقد الذاكرة، لدرجة أنه لم يتعرف عليه منذ أن التقى به وسأله منذ شهور؟! .. وما الذي طرأ على حالته؟! .. وكيف تذكره وتعرف عليه الآن فقط؟! .. ومن هم الذين يراقبونه بهذا الشكل البوليسي المثير؟! .. ومن جاء به لعلاجه؟!.

لم يشأ أن يبقى هكذا ، يسأل نفسه دون إجابة نقية واضحة .. قرر أن يسرع نحوه بحرص إلي مراحيض المصحة

❖ ❖ ❖

في طريقه إلي المقابلة الخاصة مع سفير الوطن في إنجلترا، والتي طلبها بشكل عاجل الدكتور عاطف السيد .. كان يحاول حبس دموع كثيرة حاولت أن تغالبه، وتجتاز غدده الدمعية .. بالرغم من مرور أكثر من عشر ساعات كاملة على استماعه الحذر لجلال عبدالمحسن في مراحيض المصحة .. إلي أنه لم يزل ممزق النفس موزع المشاعر في خضم الأحداث الرهيبة التي قص له عنها جلال .. بكي طويلا، وما زال قلبه يبكي حزنا وتفجعا لفراق حبيبته بدرية، وكأنها لم تمت إلا اليوم فقط .. بدرية التي

ضحت بنفسها وبحياتها وبحبنا المثالي؛ لإنقاذ أخيها جلال وحياته حينما أرسل لها ولأبيها شريطا سجل عليه بصوته الخائف المستغيث تحت ضغط جماعة مسلحة تهدده بالقتل في إحدى البلدان الأوربية بضرورة موافقتها، وموافقة أبيها علي زواجها من الشيخ سليمان .. لم يكن يعرف لحظتها أن هذه الجماعة منبثقة عن جهاز مخابرات معقد مكون من أكثر من دولة جندت بعض أبناء الوطن منهم سليمان ابن بهية .. لم يعرف إلا بالصدفة عندما تكلموا أمامه باللغة الألمانية معتقدين أنه لا يجيدها، ولا يعرف الألمانية .. بينما كان يجيدها بدرجة كافية .. فقد كانت هي اللغة الثانية التي اختارها في كلية الألسن .. عندما قرروا لسبب غير مفهوم التخلص منه بالرغم من أنه انصاع لأمرهم، وألح في طلبه لوالده وأخته بدرية التي بكى لها بكاء الأطفال مستحلفا لها بالله أن تنقذ حياته بالموافقة على زواجها من سليمان .. واقترح بعضهم بدلا من قتله إرساله إلي إحدى مختبرات التجارب .. هم في حاجه إلي شخص محكوم عليه بالإعدام لتجربة نوع من العقار يفقد الذاكرة لمدة خمس سنوات فقط، ولكن الاحتمال الأكبر أن يذهب العقار بعقل الذي سيحقن به تماما.. لابد أنهم فكروا في الخلاص منه كرهينة بعد أن عرفوا بموت بدرية- رحمه الله عليك يا بدرية - لم يتمكن من وقف عبرة كبيرة وثبت بالرغم عن إرادته في كبت كل مشاعره، وهو على وشك مقابلة السفير .. لقد كلفه جلال بضرورة المقابلة، وبإبلاغ السفير بكل البيانات التي تذكرها بعد أن بدأ يستعيدها منذ أيام قليلة .. ذهل لوجود الدكتور عاطف في المصحة .. خمن أن يكون هو الآخر عميلا للمنظمة لكن بعد أن أدرك الهدف الذي جعله يأتي إلي المصحة .. أباح له بأن المنظمة اختطفته من إيطاليا .. ولا يعرف بعدها بالضبط إلي أين حملته .. ولم يكن يعرف أين تقع المصحة التي وضع فيها .. عض عاطف على شفتيه، وهو يتذكر سليمان ابن بهية .. لكن ماذا يمكنه أن يفعل مثل هذا الحقير؟!! . فهو لن يفيدهم في شيء .. مثله لا يستطيع أن ينفع نفسه .. فكيف سيفيد مثل هذه المخابرات الأجنبية في إحدى قرى الجنوب؟!! .. واللحظات لا يعرف مدى اتساعها ؛ شل في مكانه قبل أن يقترب من منزل السفير .. اهتز كل كيانه بتخمين أصفر كالعاصفة الرعدية

المفاجئة ((أيعقل أن يكون سليمان ابن بهية هو مفجر الفتنة الطائفية بين المسلمين وجيراننا النصارى؟!!! .. لكن كيف يمكنه أن يفعل مثل هذا بمفرده؟!!!)).

تقدم بخطى ثابتة ناحية منزل السفير، وقد تبدلت احاسيسه، ومشاعره في لحظة واحدة .. استحال كل كيانه إلي رغبه عارمة في الثأر، والانتقام من هذا الشيطان الذي أحال قريتهم، وكل أجزاء الوطن إلي نيران ودماء وجثث.

دراسة نقدية للأديب والناقد*

الأستاذ / هيثم الخواجة

في قريتنا شيطان
فانتازيا الموقف والوعي

مدخل إلى الرواية

يخترق سليمان ابن بهية الملقب بالشيخ عفريت أو الشيخ قرد القرية بعد غياب يزيد عن الخمس سنوات عندما يتزوج الأستاذة بدرية تفاحة القرية الناضجة .. وتحار القرية في تفسير هذا الحدث فهي المتعلمة، وهو لم يتجاوز الثانوية الأزهرية فضلاً عن وضع أبيها المادي الجيد ؛ وعن ارتباطها بحب عميق مع الدكتور عاطف ابن العمدة منذ الطفولة .. وتتتالى الأحداث ، وإذا بهالة من التعظيم تتلبس سليمان ابن بهية العرجاء ، وبالرغم من معرفة أهل القرية بسلوكه المشين، ومنه اعتلاء الحمارة فاعلاً بها الفحشاء فقد بدءوا يقتنعون بما يفعل بعد أن رسمت له المنظمة دوره بدقة وإتقان ، وبعد أن قبل بهذا الدور – وهو الذي أراد أن يكون المسيخ الدجال ، وأن يقلب أسطورته إلى حقيقة – لقد صار فجأة الرجل الورع الذي يبارك الله كل أعماله والمؤمن الخير الذي يقيم جامعاً ضخماً لأهل القرية ، ومعهداً دينياً لتربية الأولاد تربية إسلامية ، وتحفيظهم القرآن .. كما بنى داراً للصداقة والأخوة .. إلخ .

وجاءت حجة دراسته الدكتوراه في الشريعة الإسلامية في الخارج مسوغاً لمقابلة منظمة الشيطان .

وتتطور الأحداث فتموت بدرية بين يديه دون أن يترك هامشاً ولو بسيطاً لإنسانيته . ويموت والدها بعد أن حاول قتل

سليمان على مرأى من أهل القرية. لكن سليمان لا يأبه لكل ذلك فيتابع تنفيذ أوامر الشيطان ومخططاته التخريبية ويتوج ذلك بقتل أستاذه وشيخه سيف الدين عبد الحق إمام القرية الجليل المخلص ، ويشعل حرباً طائفية مريرة بين أهل قريته والقرية المسيحية المجاورة ..

لم يهتز لكل هذه الأحداث لكن الذي أحزنه هو مشاركة بعض المسئولين له بالعلاقة مع منظمة الشيطان؛ لأنه كان ينوي التفرد بذلك، لا لطموحه استلام رئاسة الدولة فقط بل ليحكم العالم بكامله ويمارس عليه أساليب الغدر والخيانة :

"عن نفسي لن أتراجع عن فكرتي في الوصول إلى كرسي الحكم" (ص ٤١) .

"في رأيي أن الحل الأوحد في القضاء على الإسلام أن نغير نظام الحكم في الوطن ، وأتولى أنا حكم الدولة باسم الإسلام ..." (ص٣٩) .

الأدب السياسي والرواية

إذا كان الأدب السياسي هو الأدب الذي يستعرض جوانب من الواقع السياسي لحياة الإنسان من خلال صراعه مع الآخرين من أجل حياة حرة مستقرة كريمة ، فإن هذا المفهوم تعمق واتسع بحيث غدا يشمل قضايا التفكير كلها والحضارة ، وكل العلاقات الناتجة عن الأحداث التي يتفاعل بها الإنسان مع بيئته وزمنه والحياة التي يعيشها .. وما من ريب بأن هذا الأدب لعب دوره منذ الحربين العالميتين؛ لأن الظروف السياسية وأهمها حركات النضال دفعت إلى تسييس الأدب ليكون صدى الأحداث، ومرآة البطولات ، وصورة المواقف ليعكس تجربة حياة الشعوب . والجدير بالذكر أن هذا الأدب نشأ في توجهه مباشراً ، لكن ذلك لم يدم طويلاً إذ سرعان ما حدثت نقلة نوعية فيه على يد بعض

الأدباء الذين وعوا كيف يطورون أدواتهم الفنية ليتخلصوا من المباشرة التي أوقعت هذا الأدب بالفجاجة في بعض الأحيان، والسطحية في أحايين أخرى، ويمكن أن نذكر في هذا المجال جورج أورويل الذي أسس لهذا الأدب وكان مجلياً فيه، كما نذكر في أدبنا العربي نجيب محفوظ، وتفيق الحكيم، ويوسف إدريس، وحنا مينا، وهاني الراهب، وزكريا تامر، وسعيد حورانية وغيرهم ...

إن المسارات التي ارتسمت لهذا الأدب على يدي أورويل جعلته يقترب من الرمزية، والدلالية، ليحقق النظرة المستقبلية التي يراها ماثلة أمامه ...

أوردت هذا التمهيد لأقول: إن محمد نور الدين في روايته "حلم الأستاذ جمال" أسس لاتجاه جديد في الأدب السياسي، إنه الأدب الذي يعتمد على الفانتازيا الحلم، وقلة هم الأدباء العرب الذين كتبوا بهذا الأسلوب الذي يتخذ الفانتازيا ركيزة واسعة الانتشار في جسد الرواية وهي فانتازيا ليست معلقة في الهواء، ولا تركب سحاب السراب، وإنما تنطلق من الواقع، وتصب فيه .. وتأتي رواية "في قريتنا شيطان" لترسخ هذا الاتجاه الذي برز في الرواية السابق ذكرها (حلم الأستاذ جمال).
لقد حاول فيهما أن يوضح رؤيته المتشكلة بفعل المحيط الذي عاش وتعايش معه دون أن يخفي موقفه الواضح، ورؤيته المستقبلية للنتائج التي ستترتب على الأحداث المتلاحقة على الأرض العربية، فكان تعبيره الروائي مدروساً، وواعياً للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والبنى المتشكلة بسبب ذلك في عالم شديد التشابك وواقع شديد التعقيد ..

التشكيل الفني

بالرغم من اعتماد رواية "في قريتنا شيطان" على معين الواقع فقد اعتمدت الدلالة والرمز والإيحاء سبلاً رئيسة من أجل

كشف مرئياتها ، وتبيان توجهاتها وهذا أسلوب شديد الصعوبة نظراً لتعدد زوايا الرؤية وخطورتها، والذي لا شك فيه أن الفهم الواعي لطبيعة هذا الفن يدعو الأديب إلى نسج مفاصله الفنية بحذر وحيطة ، لكي يبتعد عن إسقاط الأنا على طموحات الـ (نحن) بعيداً عن اللحظوية والآنية والسطحية المتكسرة في عنق زجاجة ضيق محاولة للاقتراب من رؤية عالمية عميقة .. من اجل كل ذلك جاء هيكل الحكاية عند الكاتب محافظاً على استمرار الأحداث وقد دعم ذلك بالمحطات الزمنية التي استند إليها مع عناصر عدة استقاها من المفارقات المدهشة التي تحصل في المجتمع ونثرها في متن الرواية وبواطن الأحداث :

"ضربت القرية دهشة حادة ، كانت بلون البرق المتشظي في سماء سوداء ، وعصف الرعد الثائر ، ومذاق الفلفل والعلقم .. إلخ" بهذه الجمل الموجزة والمركزة بدأ الروائي محمد نورالدين روايته فاتحاً باب الحدث على مصراعيه ، وموضحاً للقارئ مجموعة من الأحداث الجسام والتي سوف تجثم على صدر القرية وتظهر في مسردها الحكائي ..

ويتابع القارئ مجريات أحداث الرواية ، ولا يكاد يلتقط انفاسه من انتهاء باب من أبوابها حتى يفاجأ بأشياء جديدة تشده للمتابعة والكشف والملاحقة في باب آخر .

"أفاق سكان القرية بعدها بأيام منغصين منزعجين؛ على إثر الضجيج المتناثر على وجه الحقول ، بل وفي أعماق القرية نفسها .." ولا ينسى الكاتب الربط بين ما حدث في الباب السابق ، وما سيحدث في الباب الذي يليه ليمسك بخيوط الرواية . ويلتزم الدقة في الطرح والتوجه ، لأن الروائي – محمد نور الدين كما نعرف – لا يحفل بالساكن والعادي ، وإنما يقتنص الحار ويدخله حيز الكمون ثم يدفع به نحو العمق ليظهر في النهاية وقد التقط ما في مجتمعه من قضايا بعدسة شديدة الحساسية كثيرة الميزات .. ونتيجة لذلك تزدحم في أعماله الإبداعية الفكرية ، واللونية ، وأحوال الإنسان ، وهذا لا يتحقق إلا من خلال وعي الزمان والمكان والتدقيق بالبيئة التي تتحرك فيها الأشخاص وفهم علاقاتها وطموحاتها .

"أعاد النظر من جديد إلى نفسه في مرآته المكسورة التي عثر عليها فوق أكوام السباخ ..".

انقسم موقف الكاتب من أشخاص الرواية إلى قسمين :

الأول متصور متخيل (أهل القرية والقرى المجاورة ..) والثاني فاعل (سليمان - سيف الدين - عاطف - والد بدرية - و مستر ولف ومستر فوكس .... إلخ) .

ولما كانت الشخصيات هي العنصر الفني الذي يدفع الحدث إلى الأمام فقد حاول أن يحيط بها إحاطة كاملة ليقنعنا بتصرفاتها ، وحركاتها ، وسكناتها ، وتعدد توجهاتها وأهدافها ، ولدى التدقيق في رسمها نجد الكاتب يركز على وصفها محللاً أفعالها ، ومعرفاً بها بطريقتين : مباشرة وغير مباشرة ، ولعل الطريقة الثانية كان لها الدور الفاعل في الرواية ؛ فعندما أراد أن يعرفنا على حقد سليمان ابن بهية ولا إنسانيته سرد لنا موقفه من العصفورة وأولادها في طفولته :

"لم تنتبه إليه الأم في غمرة انشغالها بإطعام الصغار .. لم تكمل إطعامها .. هوت صريعة بين أشواك وأغصان شجرة الليمون .. عاود الضرب .. انهال على العش ، لحقت الصغيرتان بأمهما .. تنفس بارتياح عندما تأكد أنه قضى عليها جميعاً ".

إن هذا الوصف لشخصية سليمان يوحي بمنطقية تسلسل التطور النفسي له عندما كبر ، وقام بأفعال مشينة مخربة ثم ارتبط بمنظمة الشيطان وصار عجينة لينة بيدها .. كما أن هذا الوصف يدلك على دوران هذه الشخصية وغيرها من شخصيات الرواية تدور في فلك الصراع لتعميق الحدث ، ودفعه حركيًا إلى الأمام ، وكشفه فكريًا عن جوانب الحكاية وأفقها عدا عن التدقيق بمظهرها ومخبرها وعدم كشفها دفعة واحدة حتى لا تغدو باهتة مكررة . فكلما تطور الحدث اكتشفنا أشياء جديدة فيها وازددنا معرفة باهتماماتها ، وحاضرها وماضيها :

"فسر لنا أنت كيف يتم الزواج بين الشيخ عفريت بعينه الواحد ، وشكله القميء ، وشهادته الدراسية التي لم تتجاوز الثانوية الأزهرية "

"ولذلك كان يحلو للبعض أن يدعوه بالشيخ قرد، والبعض الآخر بالشيخ عفريت من قبيل السخرية والتهكم، ولم

يكن يغضب من ذلك ، كان يضحك عليهم، ويردد قولته والتي استحالت إلى مبدأ يخصه وحده : امسك بالباطل حتى يأتيك الحق".

تعتبر شخصية سليمان ابن بهية الشخصية الرئيسة في الرواية، وعليها تدور الأحداث، ومن خلالها أيضاً ولهذا أخذت من اهتمام الكاتب الكثير فجاءت مدروسة ومؤثرة ومقنعة منذ طفولتها ، وحتى سعيها إلى تجسيد حلمها الكبير في تحقيق أسطورة المسيخ الدجال الذي يبدأ بهداية الناس إلى عبادة الله ، ثم ينتقل بهم إلى عبادته شخصياً ..

وثمة إشارتان يمكن إيرادهما حول شخصية سليمان :
الأولى تتعلق بشبقه الجنسي وغريزة الليبيدو التي كانت خارجة عن المألوف إلى حد الوحشية واللاإنسانية ... هذا الشبق نجده خامداً تجاه بدرية باستثناء موقفه النهائي منها ومحاولة اغتصابها بعد موتها .. والسؤال المطروح : لِمَ لم يحاول ممارسة الجنس معها منذ زواجه منها ؟ ثم أليس أقرب إلى الإقناع أن يحاول ثم ترفض أو يجد الكاتب حيلة مناسبة للتهرب ؟ وهل يقف الكره حائلاً أمام وحشيته وشبقه اللامحدود ؟ قد يكون الجواب خيبته أمامها منذ كان صغيراً وخجله منها أو عدم تصديقه بأن بدرية صارت زوجته وهو لم يتوقع ذلك في الحلم .. إلخ لكن ذلك كله - في رأيي - لا يقف حائلاً أمام إشباع غريزته الجنسية التي بلغت ما بلغت حتى وصلت إلى اعتلاء الحمير .

والثانية تتعلق بإيجاد شخصية موازية لسليمان تنتمي إلى منظمة الشيطان مهمتها إضفاء غلالة سميكة على تصرفاته ليبقى القارئ مرتاباً في أفعاله حتى تكشف الأحداث في النهاية خطورة تصرفاته .

يقول الروائي عبد الرحمن منيف :

" إن العصر الذي نعيشه اليوم هو عصر الرواية : لذلك لابد من إيلائها الكثير من الاهتمام والدراسة " (جريدة الاتحاد / الإمارات/١٧مايو عام ١٩٩٤) .

لا أعتقد بأن هذا الموضوع يصلح لفن غير الرواية ولكأن محمد نور الدين وعى ذلك فاهتم بكتابة الرواية ليحقق هدفه، ويظهر أفكاره إلى الوجود .. لقد استطاع أن يعكس-وبفنية فائقة-

ما يحدث على الأرض العربية ولم يكتف بذلك بل تجاوزه إلى رؤية ما سيحدث ، وتلك مهمة الفن الصعبة التي تتجاوزه الواقع إلى المستقبل .. فمثل سليمان كثير ومنظمة الشيطان التي تتمثل بـ (المافيا - الموساد - الماسونية...) ماثلة في الوجود تحاول أن تهدم كل تطور يسيء إلى مصالحها بدءاً من الوحدة والاتحاد ، وانتهاء بالتعاون والاتفاق .

ومن البدهي أن يتغلغل الكاتب في الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي بقوة ليتمكن من توصيل ما يريد ، ويدافع عنه بقناعة تامة دون انحياز يعتمد على الهوى مستنداً في ذلك على استدعاء كل ما هو مقنع، لأن مهمة الأدب السعي من أجل عالم بريء حر ، وما تعرية المتورط الشيخ قرد ومن معه من المسئولين إلا سلوك إيجابي لتنفيذ مهمة الأدب لقد عرت الرواية الموقف المتدني للماسونية العالمية التي تشتري الضمائر الميتة لتنال من الإنسان العربي مستغلة العقيدة تارة والقيم العربية تارة أخرى؛ من أجل تفتيت الصف وإشاعة التفرقة ....

ولم تعتمد الرواية أسلوباً واحداً للإقناع والتوصيل فلونت بناية المتعة ، واعتمدت الخطف خلفاً للإثارة والإقناع والتوصيل ، وظلت محافظة على التسلسل المنطقي للحدث في تحقيق التطور والنمو .

ويمكن القول إن الرواية فانتازيا الموقف والصرخة الحادة في وجه العربي ليعي دوره ويدرك مسيرته ويعرف أعداءه داخل الوطن وخارجه وإذا كان محمد نور الدين يكتب القصة القصيرة والرواية فقد اختار لموضوعه فن الرواية لأنه أكثر قدرة على استيعاب مثل هذا الموضوع الحار والحاد معاً والذي يشمل جوانب اجتماعية واقتصادية وسياسية من الواقع .

وتمثل شخصية عاطف الموقف الإيجابي في الحدث ... وبالرغم من أن القارئ لم يعرف من شخصيته إلا القليل ، كما أضفت النهاية المفتوحة على الرواية مجموعة من الإجابات أهمها أن الأمة العربية تعرضت وما زالت تتعرض للاغتيال ، وأن الماسونية تهدف في كل عصر إلى تفتيت آمال الشعوب وإخماد قوتهم وتطلعاتهم وباعتبار أن "الرواية أشبه برحلة مغامرة

مجهولة قد تفضي إلى اكتشاف قارة في متاهات النفس الإنسانية الرحيبة" (بديع حقي / مجلة العربي / تموز ١٩٩٣).

في اعتقادي أن الكاتب اتخذ قراراً إبائيًا لا نكوص فيه من أجل رحلته وقد استطاع وبجدارة خوض غمار المجهول، ووصل إلى هدفه بفنية فائقة وقدرة تنبئ عن امتلاك أدواته التي خدمت الفكرة، وزرقت دماء الحياة في الحدث، وإذا به يمثل صورة واعية وأفقاً رحباً لتطلعات موضوعية تهم كل قارئ يهتم بوطنه وأمته.

أما عن المضمون الروائي فقد تأسس على الصراع، وهو صراع ليس مع الفرد وإنما صراع مجتمع بكاملة ضد الظلم، فالقرية هي الوطن وأفرادها جماهير الشعب والشيطان يمثل أعداء الوطن في الداخل والخارج ولقد كانت الركائز الفكرية للرواية عند الكاتب متينة لأنها تنطلق من مناهضة كل من يسعى إلى تخريب الوطن والنيل منه، وكانت قضية حب بدرية منذ الطفولة ترمز إلى التعلق بالأرض وتمثل نسغ الحياة في تحقيق الذات، وتأكيد الارتباط بالتراب ولعلّ بدرية الضحية صورة مصغرة لآلام الأمة من أجل حياة مزهرة لأن بدرية ظلت حية في الضمائر والأذهان وما اختيار الكاتب عشرة أبواب أو فصول إلا إشارة غير مباشرة لما حدث في العقد الأخير على الأرض العربية من أحداث، ولعل اعتماد العقد دلالة على ربط الماضي بالحاضر فالعقد صورة عقود ماضية وقد تكون لاحقة أيضاً، ولن تفوتنا الإشارة إلى التقنية الفنية العالية في البنيتين الفكرية واللغوية والنسيج الواحد الذي جمعهما فضلاً عن التوجه اللغوي الواعي الذي خلا من الامتدادات غير الموظفة والانفلاشات التي تهتك جمالية العمل الإبداعي والفجوات التي تفتر الدفء فيه وكل ذلك جاء من خلال إيقاع متصاعد مشحون بانسيابية مشوقة تثير المتعة واليقظة الفكرية.

---

* من كتاب أوراق في النقد - الأستاذ هيثم يحي الخواجة - دار نشر الحضارة العربية بالقاهرة - سنه ٢٠٠٥ - ص ٤١.

السيــرة الــذاتية للمـؤلـف

الاسم : ممد نور الدين محمد على
تاريخ الميلاد : ٢٩ / ٦ / ١٩٤٨ م
المؤهل العلمي : ليسانس حقوق - جامعة القاهرة - سنة ١٩٧٣ م.
العمل : بالتربية والتعليم رئيساً للشئون القانونية ، عضو اتحاد كتاب مصر .
العنوان : مصر - القاهرة - مدينة نصر - شارع امتداد رمسيس - مدينة الصفا - عمارة ٢٢ شقة ٤٣.
الهاتف : منزل ٣٤٢٤٢١٧ / ٠٢ محمول ٠١٠٢٧٧٢١٢١٣

الإنتاج الإبداعي : أ - في مجال القصة القصيرة :

١. فاز بالجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة التي أجرتها هيئة الإذاعة البريطانية القسم العربي من لندن في ١٩٩٢ والتي تقدم لها أكثر من ١٣٠٠ قصة قصيرة على مستوى الوطن العربي وذلك عن قصة (حتى لا يطول الانتظار) .
٢. صدرت له مجموعة قصص بعنوان (البعض يفعل هذا) ١٩٨٨م.
٣. صدرت له مجموعة قصص بعنوان (حضرات السادة العشاق) ١٩٨٩ م.
٤. صدرت له مجموعة قصص بعنوان (حتى لا يطول الانتظار) صدرت عن مطبوعات الفجر١٩٩٨
٥. تنشر قصصه القصيرة في مختلف الصحف والمجلات العربية.

ب- في مجال الرواية :

١. حصلت روايته (احترس من الدولار) على شهادة تقدير من جائزة إحسان عبد القدوس في عام ١٩٩٠ . ولقد نشرت في حلقات اسبوعية في صيف ١٩٩٦ على صفحات جريدة الأهرام المسائي ثم صدرت في كتاب عن مؤسسة الانتشار العربي لبنان عام ١٩٩٨ .

٢. حصلت روايته (حلم الأستاذ جمال) على شهادة تقدير في مسابقة الناقد للرواية عن دار رياض الريس بلندن وصدرت في كتاب عن الدار نفسها عام ١٩٩٣ .
٣. صدرت رواية (هذا ما حدث للأستاذ) في كتاب عام ١٩٨٧ .
٤. نشرت رواية (هذا ما حدث لكفر مفتاح) في حلقات أسبوعية بجريدة الأهرام المسائي عام١٩٩٣ .
٥. نشرت رواية (في قريتنا شيطان) في حلقات أسبوعية بجريدة الأهرام المسائي عام ١٩٩٤ .

جـ- في مجال الفكر والتنظير :

١. (يسقط النقد الفردي) كتاب صدر عن مؤسسة الانتشار العالمي سنة٢٠٠٥م ، وضم بين دفتيه نظرية معرفية جديدة بعنوان (وحدة الطبقات المعرفية الخمس للنفس البشرية)، ومنهج نقدي جديد بعنوان (النقد الجماعي التحليلي).

تم الكتاب بحمد الله وعونه